



الأسس المنهجية للتربية بالقرآن
وتطبيقاتها في ضوء السيرة النبوية

بحث مقدم إلى ملتقي التربية بالقرآن الكريم مناهج وتجارب

إعداد/

د/ آمال محمد حسن عتيبة

أستاذ الأصول الإسلامية للتربية المشارك

كلية التربية – جامعة أم القرى

1436هـ / 2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

الأسس المنهجية للتربية بالقرآن وتطبيقاتها في ضوء السيرة النبوية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام الغر المحجلين، نبينا (محمد صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً...أما بعد:

يحمل القرآن الكريم منهجاً فريداً في طرحه الموضوعي الشمولي التكاملي المتوازن؛ فهو كتاب الله الخالد، الذي جاء لإصلاح الكون والحياة؛ فأخرج الأمة من الظلمات إلى النور، ووهبها مقومات الخيرية والعالمية والخاتمية، فصارت خير أمة أخرجت للناس، وقد شهد المولى عز وجل لها بذلك؛ فقال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ (آل عمران:110).

ولقد أنزل الله –عزّ وجلّ– القرآن الكريم لنتخذه منهجَ تربيةٍ ودستورَ حياةٍ، تسعد البشريّة بالأخذ بتوجيهاته وتشريعاته، بما اشتمل على مفاهيم ومبادئ تربويّة صالحة لتربية البشر مهما تنوّعت أجناسهم وألوانهم ومشاربهم وقدراتهم. فالقرآن الكريم بما تضمنه من هداية إلهية وتشريعات سماوية؛ هو مصدر التربية الأول الذي يكفل للمجتمع الإنساني عامة وللمجتمع المسلم خاصة، كل عوامل الطمأنينة والأمن والاستقرار والسعادة في الدنيا وفي الآخرة.

ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو المربي الأول لهذه الأمة بمنهج الله، فقد أشرف على تربية جيل من الصحابة والتابعين؛ فكان ذلك الجيل (الرعيل الأول) ظاهرة فريدة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، بحيث استطاع النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) أن يعيد بناء الإنسان العربي الجاهلي، ويخرجه من ظلمات الكفر والضلال والجاهلية، إلى نور الإيمان والمعرفة وسمو الخلق ؛ قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ (الجمعة:2).

فكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو القدوةَ التي تترجم المنهج الإسلامي إلى حقيقة وواقع، قال تعالى ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ (الأحزاب: 21)، ولما سُئِلَت أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– عن خُلُقِهِ (صلى الله عليه وسلم) فقالت: (كان خُلُقُهُ القُرآنَ) [1].

وبهذا الأسلوب التربوي الفريد، استطاع القرآن أن يربي الرعيل الأول على هذه التربية العلياء. ومن الأهمية بمكان الرجوع إلى هذا النبع الطاهر الصافي ، وإلى معين التربية الأول، إلى القرآن الكريم، حيث المجد والسؤدد في الدارين.

إن برامج التربية ومناهجها وواضعي المناهج التربوية لأبنائنا وشبابنا، في حاجة ماسة لتتبع المنهج القرآني في التربية والإصلاح واستلهامه تأصيلاً وتطبيقاً من السيرة النبوية العطرة؛ لاستنباط القيم العليا

(1) أخرجه الألباني عن السيدة عائشة رضي الله عنها، في :صحيح الأدب المفرد – الصفحة أو الرقم234 : وقال صحيح لغيره. (تم الاعتماد في تخريج الأحاديث على موسوعة الدرر السنية "مرجع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة" الموسوعة الحديثية: تيسر الوصول إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم).

والمبادئ السامية والأسس المنهجية الفاضلة التي يجب أن نربي عليها الأجيال الجديدة؛ ؛ لبناء المجتمع المسلم الفاضل.

موضوع البحث:

إن تربية الإنسان والأخذ بيده إلى ، منازل السمو والرفعة أمر يشغل بال المربين والناصحين العاملين والدعاة المخلصين؛ فبصلاح هذا الإنسان تصلح-بإذن الله- الأرض ويعمر الكون؛ لأنه يوجه طاقاته حينئذ إلى ما فيه صلاحه وصلاح مجتمعه؛ فيكون عضواً نافعاً في هذا الكون العامر، وبفساده وانحرافه تتوجه هذه الطاقات إلى الفساد والإفساد، . والعلاج في ضبط هذه القدرات، وتوجيهها نحو الصلاح والإصلاح. باقتفاء منهج القرآن في الإصلاح والتعليم والسير على درب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في التربية والتوجيه.

وهذا المنهج الرباني يتميز عن غيره من المناهج البشرية بجملة من المميزات وينفرد عما سواه بكثير من الإيجابيات؛ إنه منهج شامل متكامل متوازن، منهج عملي، يستوعب كل المستجدات والمستحدثات في حياة الإنسان؛ وهو بهذا يفتح أمام الناس باب العلم والإبداع والكشف عن حقائق هذا الكون إلى الحد الذي تطيقه قدرة الإنسان وطاقته. وهو أيضا منهج يقوم على هذه الأسس ويعتمد على تلك الركائز،منهج يحمل في جنباته الشمول والعموم والدوام والاستمرار، ولا غرابة في ذلك فهو منهج جاء من عند خالق البشر وموجدهم وهو أعلم سبحانه بما يُصلح أحوالهم ويُقُوِّم اعوجاجهم ويلبي حاجاتهم.

كما تعد السنة النبوية صورة مجسدة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه، وهي نموذج لإصلاح الحياة، تستوعب طرائق التربية والتعليم؛ يستفيد منه المعلم والداعية المسلم، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) معلماً ناجحاً ومربياً فاضلاً لم يأل جهداً في تطبيق أجدى الطرق الصالحة في التربية والتعليم، خلال مختلف مراحل دعوته. ومن خلال سيرته العطرة (صلى الله عليه وسلم) ظهر جيل الصحابة الفريد، الذي كان صدى للقرآن، والتطبيق العملي لحكم الله أمراً ونهياً [(1)].

ولو أن الناس جميعاً التزموا بهذا المنهج وطبقوا هذا الأمر في واقعهم، لاستقامت حياتهم وصارت كلها هناء ورخاء ورغد. ولم تبرز الظواهر الخطيرة في حياتهم من القلق والاكتئاب وفقدان السعادة ومعيشة الضنك والبؤس؛ مما يدفعهم في كثيرٍ من الأحيان إلى التناحر والتقاتل فيما بينهم، وأن يوجهوا طاقاتهم، وما منحهم الله من قوة إلى الإفساد في الأرض بدل إصلاحها، وإهلاك الحرث والنسل بدل عمارة الأرض واستصلاحها. إن السبب في كل ذلك هو البعد عن منهج القرآن والسنة في التربية والاعتماد على المناهج البشرية القائمة على الفلسفة المغرقة بالمثاليات أو الماديات فهي دائماً على طرفي نقيض.

ويكمن الحلّ الأمثل في العودة إلى تلك المنابع الصافية –كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)- والأخذ من تلك المنابع واستخلاص الدروس والعبر؛ ففيها بإذن الله العلاج النافع والناجع. لذا فقد أرادت الباحثة الكتابة في هذا الموضوع: "**الأسس المنهجية للتربية بالقرآن وتطبيقاتها في ضوء السيرة النبوية**"؛ لإظهار دعائم الأسس المنهجية التي اعتمدها القرآن الكريم، وطبقها الرسول

---

(1) منال موسى علي دبابش: منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية من خلال السيرة النبوية ، فلسطين: رسالة ماجستير، غزة – الجامعة الإسلامية–كلية التربية – 1429هـ 2008م.ص3.

العظيم (صلى الله عليه وسلم) في تربيته لأصحابه وتعليمهم؛ لاستنباط المبادئ التربوية السامية التي يجب أن يتربى عليها الجيل المسلم.

أسئلة البحث:

ومن هنا يتبلور موضوع البحث في السؤال الرئيس التالي:

(ما الأسس المنهجية للتربية بالقرآن وما تطبيقاتها في ضوء السيرة النبوية؟)

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة التالية:

1. ما مفهوم التربية بالقرآن وما أهميتها؟
2. ما منهج القرآن في العهد المكي والعهد المدني في التربية والتعليم؟
3. كيف طبق الرسول (صلى الله عليه وسلم) دعائم الأسس المنهجية للقرآن الكريم في تربيته لأصحابه وتعليمهم؟
4. ما المبادئ التربوية السامية المستنبطة من تطبيق الرسول (صلى الله عليه وسلم) دعائم الأسس المنهجية للقرآن الكريم في تربيته لأصحابه وتعليمهم والتي يجب أن يتربى عليها الجيل المسلم؟

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. التعرف على مفهوم التربية بالقرآن والتعرف على أهميتها.
2. إبراز منهج القرآن المكي والمدني في التربية والتعليم والتعلم.
3. إظهار دعائم الأسس المنهجية التي اعتمدها القرآن الكريم وطبقها الرسول العظيم (صلى الله عليه وسلم) في تربيته لأصحابه وتعليمهم.
4. استنباط المبادئ التربوية السامية التي يجب أن يتربى عليها الجيل المسلم.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من شرف الموضوع الذى يتناوله؛ حيث يتعلق ببيان الأسس المنهجية للتربية بالقرآن، وتطبيقاتها في ضوء السنة النبوية؛ لاستنباط المبادئ التربوية السامية التي يجب أن يتربى عليها الجيل المسلم. فالقرآن الكريم معين لا ينضب تستفيد منه المؤسسات التربوية في المجتمع المسلم كافة ؛ من أجل إعداد وبناء جيل واع قادر على البذل والعطاء والإسهام في نهضة الأمة وتقدمها.

منهج البحث:

يستخدم البحث **المنهج الاستنباطي**: الذي يعد طريقة من طرق البحث لاستنتاج أفكار ومعلومات من النصوص وفق ضوابط وقواعد محددة متعارف عليها؛ "وهي الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص؛ بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة"[(1)]. وفي ضوء هذا المنهج سوف تقوم الباحثة بتحليل النصوص ذات الصلة بموضوع الدراسة والمعتمدة على الكتاب والسنة وتفسيرها؛ من خلال كتب التفاسير المعتمدة وكتب شروح الأحاديث.

كما تستخدم الباحثة **المنهج الوصفي**: باعتباره المنهج المناسب لطبيعة هذا الموضوع، وقد عرفه عبيدات وآخرون بأنه: "وصف الظاهرة التي يريد الباحث دراستها وجمع أوصاف ومعلومات دقيقة عنها،

---

(1) حلمي فودة وعبد الرحمن صالح عبد الله: المرشد في كتابة الأبحاث، ط 6، جده: دار الشروق، 1412هـ، ص43.

كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها تعبيراً كيفيًّا أو تعبيرًا كميًّا"[1]. كم عرف أيضاً بأنه: "المنهج الذي يعنى بوصف ظاهرة معينة في الموقف الراهن فيقوم الباحث بتحليل خصائص تلك الظاهرة والعوامل المؤثرة فيها"[2].

وتستخدم الباحثة هذا المنهج عند جمع المعلومات من المصادر والمراجع المرتبطة بموضوع البحث.

مصطلحات البحث:

تتحدد مصطلحات البحث على النحو التالي:

1) **الأسس**: هي "جملة المنطلقات العقدية والتشريعية والفكرية التي ينبثق عنها نظام تربوي متكامل ومتوازن يهتدي بهديها ويتحدد في ضوئها"[3].

ويقصد بالأسس في البحث الحالي؛ المنطلقات العقدية والأخلاقية والفكرية التي تضمنها القرآن الكريم وطبقها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تربيته لأصحابه.

2) **المنهجية**:هي:"مجموعة القواعد العامة التي يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من أفكار أو معلومات من أجل أن توصله إلى النتيجة المطلوبة"[4].

وتعرف في البحث الحالي: بمنهج القرآن الكريم في تربية الإنسان والذي يشتمل على مجموعة القواعد والمبادئ والقيم التي أقرها القرآن الكريم كمنهج لتربية الإنسان وطبقها الرسول في تربيته لأصحابه.

محاور البحث:

من أجل الإجابة على أسئلة البحث وتحقيق أهدافه؛ تعرض الباحثة الموضوع وفقا للمحاور التالية:

المحورالأول: مفهوم التربية بالقرآن وأهميتها.

المحور الثانى: دعائم منهج التربية في القرآن المكي والمدني.

المحور الثالث: نماذج تطبيقية من تربية الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتعليمه لأصحابه وفق الأسس المنهجية للتربية بالقرآن.

المحور الرابع: المبادئ التربوية المستنبطة من تطبيقات الرسول (عليه الصلاة والسلام) لدعائم المنهج القرآني في تربيته لأصحابه وتعليمهم.

وأخيرًا : نتائج البحث وتوصياته.

---

(1) عبيدات، ذوقان وآخرون، البحث العلمي النوعي والكمي، ط1، 1423هـ، ص 95.
(2) أحمد الصباب: الأسلوب العلمي في البحث، جدة: دار عكاز، 1401هـ، ص 107.
(3) أبو دف، محمود خليل: مقدمة في التربية الإسلامية، غزة: مكتبة آفاق، 2007م، ص35.
(4) الرفاعي، عبد الجبار: أصول البحث، مجلة التوحيد، 2005م، ص 128.

المحور الأول
مفهوم التربية بالقرآن وأهميتها

لتوضيح معنى التربية بالقرآن تجلي الباحثة هذا المفهوم من خلال: توضيح معنى القرآن لغة واصطلاحاً، وكذلك مفهوم التربية في اللغة والاصطلاح، ثم تقدم على إثره مفهوما للمصطلح (التربية بالقرآن)، وتختم المحور بأهمية التربية بالقرآن؛ وذلك على النحو التالي:

أولاً:تعريف القرآن الكريم لغةً واصطلاحاً:

وردت عدة أقوال في معنى القرآن في **اللغة:**

فالقرآن في اللغة العربية مصدر مشتق من "قرأ" يقال قرأ قراءة وقرآنًا، والمصدر يدور على الجمع والضم، ومنه قوله تعالى : ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ*فَإِذَاقَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ (القيامة17-18). ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علمًا، "قال أَبو إِسحق النحوي[1]: يُسمى كلام اللّه تعالى الذي أَنزله على نبيه (صلى اللّه عليه وسلم)؛ كتابًا وقُرْآنًا وفُرْقانًا، ومعنى القُرآن معنى الجمع، وسمي قُرْآنًا؛ لأَنه يجمع السُّوَر، فيَضُمُّها. وقوله تعالى : إِنَّ علينا جَمْعه وقُرآنه، أَي جَمْعَه وقِراءَته، فَإِذا قَرَأْنَاهُ فاتَّبِعْ [2].

وقال الإمام الزرقاني[3] في كتابه (مناهل العرفان)" أما لفظ القرآن فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسمًا للكلام المعجز المنزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) من باب إطلاق المصدر على مفعوله...". [4] أي أنه ليس بمشتق ولكنه علم على كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم)" وكان يقول: القُران اسم، وليس بمهموز، ولم يُؤْخذ من قَرَأْت، ولكنَّه اسم لكتاب اللّه مثل التوراة والإِنجيل، ويَهمز قرأْت ولايَهمز القرانَ." [5].

القرآن هو التنزيل العزيز، أي المقروء المكتوب في المصاحف وإنما قدم على ما هو أبسط منه لشرفه. قرأه وقرأ به بزيادة الباء كقوله تعالى: تنبت بالدهن، وقوله تعالى: يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار، أي تنبت الدهن ويذهب الأبصار. [6].

---

(1) إبراهيم بن علي أبو إسحاق الفارسي النحوي، قال ياقوت: كان من العيان في اللغة والنحو، قيماً بالكتابة وقرض الشعر؛ أخذ عن الفارسي والسيرافي، وورد بخاري فبجل، فأخذ عنه أبناء رؤسائها، ولى التفصح بديوان الرسائل، وصنف وأملى، وشرح كتاب الجرمي، وناقض المتنبي، وحفظ الطم والرم، مات سنة نيف وستين وستمائة.. راجع: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - حرف الهمزة ج1 ص317

(2) ابن منظور الأفريقي:لسان العرب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1417هـ-1997م، 5/ 69باب القاف.

(3) هو الشيخ محمد عبد العظيم الزُّرقاني بضم الزاي وتشديدها، ولد في قرية زرقان بمحافظة المنوفية بمصر، وينسب إليها، وكان مولده في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وقبره معروف في قرية الجعفرية. عاش في مصر، حفظ القرآن الكريم وتلقى تعليمًا دينيًا، ثم التحق بالأزهر، وتخرج في كلية أصول الدين، وعمل بالتدريس، بالمعهد الأحمدي في مدينة طنطا، ثم بكلية أصول الدين في الأزهر بالقاهرة. وكان شاعرا، و هـ قصائد نشرتها جريدة سفينة الأخبار ب(طنطا)، منها: قصيدة «تحية الدين لنادي جمعية الشبان المسلمين» - أكتوبر .1928، . وفي شعره حكمة وموعظة وتأمل في أحوال الدنيا والآخرة، ودعوة إلى العلم والدين، وإعلاء للقيم الإسلامية، وحض عليها، مع المحافظة على وحدة الوزن والقافية. وله كتابان مطبوعان: مناهل العرفان في علوم القرآن، وفي الدعوة والإرشاد. توفى سنة 1367هـ ووقبره معروف في قرية الجعفرية مركز السنطة محافظة الغربية من أعمال مصر. راجع: - خير الدين الزركلي: الأعلام - دار العلم للملايين - بيروت 1990، - فهارس المكتبة الأزهرية - القاهرة - 194/1، 477:7.

(4) الإمام عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، مناهل العرفان في علوم القرآن)- بيروت: دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى - 1415هـ - 1995 م، 11/1.

(5) ابن منظور: لسان العرب، 5/ 69باب القاف.

(6) محب الدين المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية للنشر والتوزيع)، 186/1.

ولقد تعددت آراء العلماء في تعريف القرآن **اصطلاحًا** ؛ وذلك بسبب تعدد الزوايا التي ينظر منها العلماء إلى القرآن الكريم.

ومن تلك التعريفات، ما يلي:

-"القرآن هو كلام الله المنزل على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه، المبدوؤ بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس"[(1)].

-"هو كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) بلفظه ومعناه والمنقول إلينا بالتواتر"[(2)].

هذا الإطلاق "ينسب إلى علماء الأصول والفقه واللغة العربية، ويوافقهم عليه المتكلمون أيضا، غير أن هؤلاء الذين أطلقوه على اللفظ المنزل اختلفوا في تعريفه فمنهم من أطال في التعريف وأطنب بذكر كثير من خصائص القرآن الفريدة، ومنهم من اختصر فيه وأوجز، ومنم من اقتصد وتوسط

ثانياً: مفهوم التربية لغة واصطلاحاً[(3)]:

كلمة "تربية" من حيث **مدلولها اللغوي** تنتمي إلى الجذر الثلاثي "رَبَ"، والفعل منه "رَبِّيَ"؛ وبالرجوع إلى الأصل الاشتقاقي لكلمة التربية: وهو رَبَ ورَبِّيَ، نجد أنها ترجع إلى أصول ثلاثة:

الأصل الأول :رَبَا، يَربُوُ، رُبُواً، ورِبَاءً: أي نما وزاد، وأَرْبَيْتُه:نميته[(4)] وفي التنزيل الحكيم: ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَاْ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِنْدَ اللَّهِ**...﴾ (الروم:39)، أي فلا يزداد[(5)].

وسمي الربا ربا لما فيه من الزيادة على رأس المال. وقوله تعالى: ﴿...**وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**...﴾ (البقرة:276)، أي ينميها في الدنيا ويضاعف أجرها في الآخرة إلى سبعمائة ضعف[(6)] وإلى اضعاف مضاعفة لا يعرف مداها إلا الله تعالى.

وقوله تعالى:﴿... **وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**...﴾(الحج:5)، أي ارتفعت وانتفخت[(7)].

والربوة ما ارتفع من الأرض، وسميت بذلك لما فيها من الزيادة التي بها ارتفعت عما جاورها. والفعل "ربّى" مضعّف يتضمن معنى التدرج والتعهّد المستمر؛ يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لاَ يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ إِلاَّ أَخَذَهَا اللَّهُ بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا كَما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ قَلُوصَهُ حَتَّى تكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ أَوْ أَعْظَمَ"[(8)]. وتربية الفلو إنما تكون بتعهّده بما يصلحه في غذائه وصحته ورياضته على ما يريده منه مربيه حتى يصل في نموه وإتقانه إلى منتهاه.

---

(1) الإمام عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص15.

(2) الإمام عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، مناهل العرفان في علوم القرآن ، مرجع سابق، ص15.

(3) زينب الحسن أبو علي:أسس التربية بين التأصيل الشرعي والمفارقات الحداثية، موقع تربيتنا (نحو تربية إسلامية واعية)، 1435/12/1هـ.

(4) ابن منظور: لسان العرب، 304/14، 306، (مادة:ربا).

(5) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 45/21.

(6) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمدبن فرح الأنصاري، ت/671هـ:الجامع لأحكام القرآن، تحقيق:أحمد عبد العليم البردوني، مج20، ط2، القاهرة:دار الشعب، 1372هـ، 362/3.

(7) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، ت / 774هـ: تفسير القرآن العظيم، مج4، بيروت: دار الفكر، 1401هـ، (د.ط)، 209/3.

(8) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة -الصفحة أو الرقم1014 :

والأصل الثاني: ربَاَ، يُرْبِي: بمعنى نشأ وترعرع، وربَوْتُ ربُوُاً وربْواً، وربَيْتُ ربَاءً وربُِياً: أي نشأ فيهم، وربَيْتُ فلاناً أُربيه ترْبِيةً: أي غذوته[1].

أما الأصل الثالث: رَبَ يَرُبُ بمعنى ربّاه وأصلحه ومتّنه وحضنه، ورَبَ زيد الأمر: إذا ساسه وقام بتدبيره، وربّاه: أي أحسن القيام عليه ووليه حتى يفارق الطفولة، ومنه قيل للحاضنة رَابّةٌ ورَبِيْبةٌ لأنها تصلح الشئ وتقوم به. وقد ورد ذكر التربية بهذا المعنى في القرآن الكريم؛ يقول الله تعالى على لسان فرعون مخاطباً سيدنا موسى عليه السلام: ﴿**قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ**﴾ (الشعراء:18). ويقول الله تعالى أيضاً: ﴿...**وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ (الإسراء 24). ورَبَبْتُ الأمر أَرُبه رَبّاً: أي أصلحته ومتنته وأجدته وطيبته[2].

وفي الحديث الشريف: (هل لك عليه من نعمة تَرُبُهَا؟)[3]. أي تقوم بأسباب دوامها وإصلاحها[4].

والرَب: المصلح والمدبر والقائم والمربي[5].

والرباني من الرب بمعنى التربية[6].

أي العالم الذي يربي الناس بصغار العلوم قبل كبارها[7].

وقال الطبري: "الرباني: الجامع إلى العلم والفقه البَصَر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم"[8].

وقد استند بعض المتخصصين[9]. انطلاقا من هذه الأصول اللغوية إلى أن **التربية تتكون من مجموعة من العناصر أهمها** مايلي:

1. المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها.
2. تنمية مواهبه واستعداداته كلها وهي كثيرة ومتنوعة.
3. إيصال كل مربي إلى درجة كماله الخاصة التي هيأه الله لها.
4. توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب للعمل في الأرض والقيام بحق الخلافة فيها عن الله عز وجل.
5. التدرج في هذه العملية وهو ما يشير إليه الراغب الأصفهاني بقوله: "حالا فحالا".

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، 307/14، (مادة:ربا)، مرجع سابق. الفيروز أبادي: محمدبن يعقوب، ت/817هـ، القاموس المحيط: تحقيق العرقسوسي، ط5، بيروت:مؤسسة الرسالة، 1406هـ، ص1659، (مادة:ربا).

(2) الفراهيدي: الخليل بن أحمد، ت/175هـ:كتاب العين، تحقيق: المخزومي والسامرائي، ج8، مكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت)، 257/8، ، (باب:رب). ابن منظور: لسان العرب، 401/1، (مادة:ربي)، مرجع سابق.

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحصحه، كتاب البر والصلة، باب(فضل الحب في الله)، ح(2567).

(4) ابن الجوزي، بو الفرج عبد الرحمن بن علي، ت/597هـ: غريب الحديث، ط1 ، بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م، 371/1، . والنووي:يحيى بن شرف، ت/676هـ:شرح النوويعلى صحيح مسلم، مج18، ط2، بيروت: دار إحياء التراث، 1392هـ، 124/16

(5) ابن فارس، أحمد بن زكريا، ت/395هـ: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مج6، بيروت: دار الفكر، 1979م381/2، 382. والزبيدي، محمد مرتضى، ت/1205هـ: تاج العروس، تحقيق: علي شيري، مج20، بيروت: دار الفكر، 1994م، 4/2، 6، (مادة:ربب).

(6) ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ت/606هـ: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، مج5، بيروت: المكتبة العلمية، 1997م، 181/2.

(7) البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ت/256هـ: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المشهور بالجامع الصحيح، تحقيق:مصطفى ديب البغا، مج6، ط3، بيروت: دار ابن كثير، 1987م، 37/1، كتاب العلم، باب (العلم قبل القول والعمل).

(8) الطبري: جامع البيان، 327/3، مرجع سابق.

(9) علي أحمد مدكور، مناهج التربية – أسسها وتطبيقاتها، القاهرة: دار الفكر العربي، 1418هـ/1998م، ص29.

وفي الاصطلاح: فإن مفهوم التربية له علاقة وثيقة بالمفهوم اللغوي، ومن آراء العلماء قول الراغب الأصفهاني في معجمه[1]: "الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام"، يقال ربه ورباه وربيه، وقيل: لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن، فالرب مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال الرب مطلقا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات، نحو قوله تعالى: ﴿...**كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**﴾ (سبأ: 15). وقول البيضاوي: "الرب: مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشئ إلى كماله شيئاً فشيئاً"[2].

وبالرجوع إلى الأصول اللغوية نجد أن لكلمة التربية معنى الزيادة والنماء، وهو مشتق من ربا يربو ربا وربابة، وهذا المعنى يعاضد ما ذكر قبلا من الإنشاء حالا فحالا والإصلاح تدريجيا.

وقد اختلف العلماء والباحثون المحدثون في تعريف مفهوم التربية، ومرد هذا الاختلاف يرجع إلى خلفياتهم الثقافية واتجاهاتهم الفكرية والتربوية وتخصصاتهم، واختلاف نظرتهم نحو أغراض التربية وأهدافها؛ فمنهم من عرفها بمعني التثقيف[3].ومنهم من قدمها بمعني التعليم[4]. أو التأديب والتهذيب[5]. أو تزكية النفس[6]. ومنهم من قدم لها تعريفاً على إنها عملية اجتماعية[7].

وعرفها جون ديوي (1859-1952م)، -الفيلسوف والمربي الأمريكي- بأنها: "عملية تكوين ذات الفرد وخبراته بضبط النفس والسيطرة عليها"، كما وصفها بأنها:" عملية تجدد ونمو وإعداد وتوجبه مستمر"[8].

ويمكن ملاحظة سيطرة النظرة الجزئية على المفاهيم السابقة التي قُدمت للتربية، كما يمكن من خلالها التعرف على المفهوم الشامل الذي قدم لها بأنها: "تلك العملية التي تساعد على تشكيل عقل الفرد وخلقه وجسمه"[9].

ثالثاً: التربية في الفكر التربوي الإسلامي:

والتربية بمعناها الشمولي في الفكر الإسلامي تهتم بالفرد منذ سنين عمره الأولى بادئة بالحفاظ على مقومات الفطرة السليمة والبراءة الأصلية التي خلقه الله عليها، وتنمية مواهبه واستعداداته الفطرية؛ بصقلها وإضافة مهارات مكتسبة من الخبرات المختلفة التي تزخر بها الحياة. وتوجيه ذلك كله بشكل تدريجي لصياغة كيان الإنسان، بشكل إيجابي في كل مناحي الحياة، جسديا وعاطفيا واجتماعيا وفكريا وفنيا وأخلاقيا وروحيا وثقافيا؛ بالاستعانة بجميع الوسائل والطرق والأساليب المشروعة؛ لتهذيب السلوك وصقل المواهب؛ بغية إيصال الفرد إلى حالة الكمال الإنساني، التي تمكنه من القيام بالتكاليف الشرعية،

(1) الراغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط 1،، ضبطه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ 1997م، ص 208،، (مادة:رب):

(2) البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي، ت/791هـ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مج2، ط2، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1955م، 3/1.

(3) شلبي، أحمد: التربية الإسلامية، ط7، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1982م، ص7.

(4) السيد، محمود أحمد: معجزة الإسلام التربوية، الكويت: دار البحوث العلمية 1978م، ص21. و بدران، شبل: التربية والنظام السياسي ، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1993م، ص64. وجرادات، عزت: تربية الطفل في الإسلام، عمان: المركز الثقافي الإسلامي، 1983م، ص7.

(5) خلف الله، أحمد ربيع عبد الحميد: الفكر التربوي وتطبيقاته، مصر: مكتبة وهبة، 1984م، ص131.

(6)عرعور آل، عدنان بن محمد: صفات الطائفة المنصورة، ط2، القاهرة: مؤسسة قرطبة، 1995م، ص75.

(7) جرادات، عزت، وهيفاء أبو غزالة: مدخل إلى التربية، عمان: دار الفكر، 1983، ص9.

(8) ديوي، جون: الديمقراطية والتربية، ترجمة: نظمي لوقا، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1978م، ص52.

(9)العلواني، طه جابر: المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، 886/3.

وتحمل مسؤولية عمارة الأرض وحمايتها من الفساد؛ لتحقيق خلافته عن الله فيها، والغاية من ذلك كله الحصول على رضى الله تعالى[1].

ومما سبق يتضح أن معنى التربية في الفكر الإسلامي هو استثمار للفطرة السليمة التي خلق عليها الإنسان مع اتباع الأخلاق والقيم الإسلامية التي تنمي الفطرة السليمة في النفس البشرية، إضافة إلى اكتساب خبرات ومهارات خارجية تنمي شخصية الفرد وتوجه مداركه وتصقل مواهبه، فيما يعود بالنفع عليه وعلى المجتمع الذي يعيش فيه وربما يتعداه إلى غيره من المجتمعات الإنسانية.

كما أن التربية في الفكر الإسلامي أسلوب لبناء الإنسان بناءً شاملاً متكاملاً بوصفه فرداً مسلماً وبوصفه جزءاً من المجتمع الإسلامي؛ ويتحقق ذلك من خلال النضج الكامل في شخصيته[2].

رابعاً: مفهوم التربية بالقرآن[3]:

عالج القرآن الكريم المسائل التربوية بكثير من الاهتمام والوضوح، وركّز على بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة التي تتفاعل فيها عوامل التيقن والتدبر والتقوى. وكذلك السعي للوصول بالإنسان إلى مراحل النضج والكمال ليخوض تجربته في الحياة بجدارة واقتدار، باعتبار أنّ صياغة المحتوى الداخلي للإنسان هي الأساس لعملية التغيير الاجتماعي، والقاعدة التي تستند عليها كل المظاهر الخارجية والأبنية العلوية، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ (الرعد:11).

أما إذا كانت عملية التربية تستهدف المظاهر والقشور الخارجية ولا تنفذ إلى القلب وأعماق الروح، فإنّها إذن ستتحول إلى مجرد تصورات وكلمات وألفاظٍ جوفاء بلا مضمون أو محتوى. قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾(البقرة:204-205).

وتستهدف عملية التربية في المفهوم القرآني بناء الجانب الخيّر في الإنسان، وهدم مظاهر السلبية والانحراف والفساد في حياته، وتوجيه طاقاته نحو الخير والبناء والإعمار، بعد تعريف الإنسان بربه الكريم تعريفاً يقوم على أساس من الفهم والمنطق السليم، وتوضيح طبيعة هذا العالم الهائل المترامي الأطراف وكنهه، وتفسير جوهر الحياة الدنيا والغايات الكامنة وراءها؛ من أجل أن يدرك دوره على هذه الأرض وواجباته المستحقة عليه وحقوقه المترتبة له.

وينطلق منهج التربية في القرآن الكريم من حقيقة أنّ كلّ إنسان يولد على الفطرة، وأنّه يمتلك في نفسه الأرضية الصالحة التي تعينه على فعل الخيرات واجتناب المعاصي والآثام؛ قال عز من قائل: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾(الروم:30).

لذلك فقد عمل الإسلام على إبقاء فطرة الإنسان نقية سليمة، وتوفير الأجواء المناسبة من أجل أن يختار سبيل الصلاح والرشاد؛ ذلك لأنّ الإنسان على خلاف كل المخلوقات الأخرى يملك قوة واعية مدركة قادرة على التشخيص والاختيار، وهو مسؤول عن هذا الاختيار ويجازى عليه ويحاسب عليه، وهو

---

(1) علي أحمد مدكور، مناهج التربية -أسسها وتطبيقاتها، القاهرة: دار الفكر العربي، 1418هـ/1998م، ص3.

(2) الكيلاني، ماجد عرسان: التربية والتجديد، مكة: دار الاستقامة، بيروت: مؤسسة الريان، 1997م، ص17.

(3) الموسوعة الإسلامية، إنعام الكاظمي: مفاهيم في التربية القرآنية، مقال منشور بتاريخ 2013/6/18م، مجلة الطاهرة/ العدد 192 لسنة 2008م.

يستطيع أن يستخدم هذه القوة لتنمية استعدادات الخير في نفسه، كما أنّ له الحرية أيضاً في الانسياق وراء الشر والالتحاق بجموع الضلال، والسقوط في هاوية الشذوذ والإنحراف.

قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾(الشمس: 7-10)، كما يقول أيضاً:﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ . أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا . أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ . أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ . وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ . وَهَدَيْنَاهُ النَجْدَين**﴾(البلد: 4-10)، ويقول تعالى في موضع آخر:﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ (النازعات:40-41)، كما قال عز من قائل:﴿**بَلِ الإنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**﴾ (القيامة: 14-15).

فقد رفع الله من قيمة الإنسان حين جعله أهلاً لاحتمال تبعة أعماله، ووضعه في المكان الذي يليق به كمخلوق نفخ فيه من روحه، وفضّله على العالمين. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا**﴾(الإسراء:70).

لذا فإن مسألة التربية بالمفهوم القرآني تتعلق في جزء كبير منها بالإنسان نفسه، فقد فاز من نجح في ترويض ذاته وإصلاحها وإبعادها عن مواطن المعصية والجريمة، في حين خسر كل من تركها عرضة لإغواء الشيطان وإغراءاته ووساوسه يقودها كيفما أراد، وأنى رغب أو شاء.

وبما أنّ الإنسان مسؤول عن نفسه، وعن تهذيبها وتخليصها مما قد يعلق بها من شوائب وأدران، فإنّه لابدّ إذن أن يحتاج إلى دليل عمل وثقافة ومعرفة تعينه على الثبات والاستقامة، ومواصلة الطريق الصعب رغم كل المزالق والعقبات، وهذا الدليل هو **القرآن** الذي يهدي للتي هي أقوم، وفيه **تبيان** لكل شيء وهو هدى ورحمة وبشرى للمسلمين. قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ (الإسراء: 9)، ﴿**يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ (النحل: 89)، ﴿**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ (إبراهيم: 1).

ولم تقتصر المفاهيم القرآنية التربوية على المسائل النظرية والتوضيح والتوجيه فحسب، وانما طلبت من الإنسان استقراء الحوادث التاريخية، والاستفادة من تجارب الآخرين والتعلم من أخطائهم وعثراتهم. ودعا القرآن الكريم الإنسان إلى التأمل في المصائر التي آلت إليها الأقوام السابقة من الذين مضت فيهم سنة الأوّلين لاستخلاص النتائج والعبر ومن ثمّ مواصلة المسيرة على هدى وبصيرة؛ قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا**﴾ (محمد:10)، ﴿**فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ . أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ (الحج: 45-46).

وعلى ذلك فإن القرآن هو العامل الأساس في تربية الإنسان المسلم، فهو ليس مجرد معارف يحصل عليها الإنسان من أجل الترف الفكري، إنما جملة من الأصول والقواعد التي تمكّن الإنسان من استيعاب الحياة وكيفية العيش فيها والتعايش معها وفق منهج الله تعالى، ومن ثم تشذب سلوكه وترسم له معالم الصراط المستقيم.

وقد بيّن القرآن الكريم للإنسان المسلم المثل الأعلى الذي عليه أن يتشبه به ويقترب منه، وذلك لأنّ الإشارة إلى النموذج والقدوة يمنح المفهوم مثالاً حسياً ملموساً وقوة حركية تجسّد الأفكار على صعيد الواقع والعمل، وتتمثل القدوة بالرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي يعد مثالا للشخصية الإنسانية المتكاملة التي تتصف بكل الخصائص النبيلة السامية كالصدق والشجاعة والثبات والروح الحانية والنفس السخية الكريمة. قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾(الأحزاب: 21).

وقد تكون التربية مسؤولية جماعية حيث حرص القرآن الكريم على تحفيز العناصر الخيّرة في الأُمّة، إلى مهاجمة المنكر وإزالة آثاره من صفحة الوجود، وطلب من الطليعة المؤمنة أن تقف يقظة حذرة تجاه أيّة بدعة، وكل ما يخلّ بالنظام السليم للحياة الاجتماعية والاستمرار في الوقت نفسه، بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والإحسان. قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(آل عمران: 104)، ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (التوبة: 71).

وبناء على ما سبق يتضح أن التربية القرآنية جزء من التربية الإسلامية، بل هي أساسها وأصلها؛ باعتبار أن القرآن الكريم هو روح التربية الإسلامية وأساسها[(1)].

فالتربية القرآنية هي: "التربية الشاملة القائمة في كل جانب منها على القرآن الكريم والمنبثقة من تعاليمه ومفاهيمه"[(2)]. وهي أيضا: "المنهج القرآني الذي أودعه الله عز وجل في كتابه الكريم لصياغة الإنسان وتوجيهه ورعاية جوانب نموه المختلفة بما ينسجم مع فطرته وضمان سعادته في الدنيا والآخرة"[(3)].

خامساً:أهمية التربية بالقرآن:

تنبع أهمية التربية بالقرآن من كونها تربية نابعة ومستنبطة من كتاب الله عز وجل، وأنها أحكام وتشريعات من عليم حكيم، خلق الإنسان وهو أعلم بما يحقق له السعادة والخير والصلاح، قال تعالى: ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾(الملك:14).

ومن خلال التعمق في المنهج القرآني تتضح **أهمية التربية بالقرآن وذلك على النحو التالي**[(4)]:

1. **أنها تحقيقاً لمقاصد القرآن الكريم وأهدافه:** فإن الله تعالى لم ينزل القرآن الكريم كتاباً للتلاوة فقط، ولكن ليكون المنهاج الحي لتربية أبناء الأمة وإعدادها لدور القيادة الراشدة. فهذه هي المهمة الرئيسة للقرآن الكريم والتي تبدو جلية واضحة في أكثر من موضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ**

---

(1) رابح، تركي: دراسات في التربية الإسلامية، بيروت: المؤسسة الجامعية، 1982، ص19.

(2) طه جابرالعلواني، مرجع سابق.

(3) اعمير، أنور أحمد داود: التربية القرآنية في سورة النور، فلسطين: رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 1425هـ/2004م، ص 23.

(4) انظر على سبيل المثال: محمد بن عبد الله آل عمرو، ومحمود يوسف الشيخ: أصول التربية الإسلامية، ط4، 1429هـ - 2008م. وأيضاً: سعيد إسماعيل علي: الأصول الإسلامية للتربية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1412هـ - 1992م. وأيضاً: أحمد الحمد: التربية الإسلامية، الرياض: دار أشبيليا للنشر والتوزيع، 1423هـ.

أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾(إبراهيم:1).
حيث أخبر سبحانه وتعالى أنه أنزل الكتاب ليهتدي به الناس ولتكون به حياة قلوبهم وعزهم وشرفهم، وأمرهم فيه بالمكارم ونهاهم عن اقتراف الآثام والحرمات.

2. **أنها تمثل خلاصة منهج الرسل عليهم السلام في تغيير أحوال أقوامهم:** لقد بعث الله الرسل لتعريف الناس بخالقهم وحثهم على طاعته وعبادته، وإرشادهم إلى طريق الحق وتزكية نفوسهم. وقد بعثهم الله تعالى بهذه الرسالة وولاهم هذه المهمة وجعلها على أيديهم دعوة وتعليماً وبياناً وإرشاداً، قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾**(الجمعة:2).

3. **أن العمل بها ضرورة وفريضة:** فقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم لهداية البشر وتطبيق أحكامه والتزام شريعته وحمل رسالته، والعمل بالشريعة يقتضى تطوير الإنسان وتهذيبه وتهيئته حتى يصلح لهذه المهمة، وهذا التطوير والتهذيب هو التربية بعينها. فلا تحقيق لرسالة القرآن الكريم وشريعة الإسلام إلا بتربية الفرد والمجتمع على الإيمان بالله وتحكيم شرعه والإئتمار بآوامره والانتهاء عما نهى عنه، يقول تعالى: **﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**(النساء:65).

4. **أنها تمثل منهجاً تربوياً متميزاً وفريداً: حيث** تتفرد التربية القرآنية بمنهج تربوي متميز بخصائص لا توجد في أي منهج آخر على وجه الأرض، ومن تلك الخصائص؛ أنه منهج رباني المصدر والغاية، صادر من الله سبحانه وتعالى للإنسان، وهدفه حسن صلة العبد بربه.كما أنه منهج عالمي؛ صالح للبشرية جمعاء؛ فالإسلام رسالة عالمية وشريعته شريعة كونية. وهو يتلائم مع الفطرة الإنسانية ويواكبها ويقدر مطالب النفس البشرية وحاجاتها.

المحور الثاني
دعائم منهج التربية في القرآن المكي والمدني

لعل أبرز ما يمتاز به منهج التربية في القرآن هو اهتمامه بمختلف النواحي المادية والروحية، فهو منهج شامل للجسم والروح وللعقل والعاطفة، يهدف إلى إعداد أجيال سليمة من الناحيتين النفسية والبدنية، مع تربية الغرائز الإنسانية كغريزة الجنس والتملك والاجتماع، وحب العلم؛ بإعطائها حقها المشروع وحمايتها من مظاهر الشذوذ والانحراف والحرمان. قال تعالى: **﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**(القصص: 77).

ولقد وصف القرآن الكريم النعم التي أخرجها الباري لعباده بالطيبات من الرزق، يتمتعون بها في الحياة الدنيا وهي خالصة للمؤمنين في الدار الآخرة قال تعالى:**﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**(الأعراف:32).

كما يرسخ القرآن في نفس المسلم ضرورة البحث والتأمل في مختلف فروع الحياة حتى يواصل الإنسان مسيرته التصاعدية وكدحه المستمر إلى ربه وبارئه. قال تعالى: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ**

وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ (الزمر: 9)، **﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا في الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** (الجاثية: 13).

وهكذا يفتح الإسلام الآفاق الرحبة أمام الإنسان، ويوفر له كل مستلزمات السير في طريق النور والرشاد ويدعوه إلى الترقي في مدارج العلم والكمال، فيما يملك الإنسان بدوره الوسائل الكافية للتلقي والاستجابة، وإدراك الأشياء والحكم عليها، ومن ثمّ فإنّه يجتاز الابتلاء وفق ما يريد ويختار.

ولقد تميز القرآن الكريم بمنهج فريد في التربية أتى أكله على خير ما يرام، وظهر ذلك جلياً في جيل الصحابة الكرام خير أمة أخرجت للناس. ومن سمات عظمة منهج القرآن الكريم في التربية أنه كان يختار الزمان والمكان والحدث والبيئة المناسبة لإحداث التغيير، بالإضافة إلى ظروف وأحوال الفرد والجماعة محل التغيير والتربية، ففي العهد المكي بظروفه وملابساته اتبع القرآن الكريم منهجاً معيناً يتناسب مع ذلك العهد، وفي العهد المدني كان للقرآن الكريم أيضاً منهجاً يتناسب مع ذلك العهد وذلك على النحو الآتي[1].

أ– دعائم منهج التربية في مرحلة العهد المكي: (ثلاث عشرة سنة):

قامت عملية التربية التي تبناها منهج القرآن الكريم في العهد المكي وفق دعائم محكمة ومتدرجة وذلك على النحو التالي:

1– إيقاظ الحس البشري في ذلك الحين؛ الموجه إليه خطاب التغيير القرآني ذلك الحس الذي طال سباته وأطبقت عليه الغفلة وغرق في أوحال الجاهلية. ولقد كانت الطرقات والصيحات والهزات العنيفة التي حملها الخطاب القرآني إلى مسامع المخاطبين في بداية عهده، تتركز جميعها حول النظر والتفكر والتدبر المتعلقة بأمور العقيدة، من توحيد الخالق وإثبات الوحي ولفت الأنظار إلى النشأة الأولى للإنسان، والأحياء الأخرى في الأرض من نبات وحيوان، وإلى مشاهدة هذا الكون وآياته في كتابه المفتوح، ومشاهد القيامة؛ الطامة والصاخة والقارعة والغاشية، ومشاهد الحساب والجزاء. صور تقرع وتذهل وتزلزل كمشاهد القيامة الكونية في ضخامتها وهولها واتخاذها جميعاً دلائل على الخلق والتدبير والنشأة الأخرى وموازينها الحاسمة مع التقريع بها، والتخويف والتحذير وأحياناً تصاحبها صور من مصارع الغابرين المكذبين[2].

2– ومن دعائم منهج القرآن الكريم في العهد المكي تعريف الناس بالله واليوم الآخر وبقصص الأنبياء والمكذبين من قبل، وبقصة آدم مع إبليس وبأخلاقيات لا إله إلا الله؛ التي يريد الله سبحانه وتعالى أن تحل محل أخلاق الجاهلية وكلها دروس في العقيدة[3].

وإلى جانب التنديد بالشرك في العهد المكي ندد القرآن الكريم بأخلاق الجاهلية المنتكسة ومفاهيمها الجاهلية الهابطة، ويضع في المقابل الأخلاق الإيمانية التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان السوي وهي متصلة بالعقيدة في الوقت نفسه؛ لأن العقيدة الإسلامية ليست نظرية أو لاهوتاً يدرس؛ إنما هي واقع سلوكي معين لابد أن يرى أثره في واقع الناس، ومن ثم كانت لها أخلاقيات متصلة بها ومنبثقة عنها تشمل الحياة كلها وتضع لها منهجاً مفصلاً[4]. وهذا يتسق مع منهج القرآن الكريم في التربية الذي ربط

(1) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ط3– بيروت: دار الشروق ، 1400هـ، ج2، ص51.
(2) سيد قطب: في ظلال القرآن، الطبعة الشرعية التاسعة، بيروت: دار الشروق، 1402هـ، ج6، ص3800–3801.
(3) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص51.
(4) محمد المرجع نفسه، ص56.

كل تصرفات الإنسان وشؤون حياته بالعقيدة لأنه لا يمكن أن يستقيم ذلك إلا بوجود العقيدة الحية الإيجابية المتمكنة من الوجدان والضمير التي تجعل سلوك الإنسان سوياً على الدوام دون انحراف أو زيغ.

3- كذلك من دعائم المنهج القرآني في التربية في العهد المكي؛ استثارة العواطف والوجدان إلى حقيقة الألوهية وهذه الحقيقة هي البوابة الرئيسة لعقيدة الفطرة التي أودعها الله في الفطرة لتنبهها إلى خالقها وتتوجه لله بالعبادة(1).

لذلك كان القرآن أول ما يباشر اتصاله بالإنسان يبدأ بفطرته فيوقظها ويذكرها بما هو مغروس في أعماقها ليجد أنها معترفة بوجود الخالق العظيم فهي في ذلك لا تحتاج إلى دليل، والقرآن الكريم حين يوجه نداءه للفطرة لتفيق وتعتدل في الطريق فأول جانب يلفت نظرها إليه ويطلب منها فعله هو جانب العقيدة فيأخذ بيدها إلى مظهر الملك؛ يتعمق بها في أسرار الملكوت، ويسألها مع كل لمسة وهمسة ومع كل لفتة وإشارة من مربي هذا؟ فلا تملك إلا أن تقول الله(2).

لقد كان القرآن الكريم يخاطب فطرة (الإنسان) بما في وجوده هو وبما في الوجود حوله من دلائل وإيحاءات، كان يستنقذ فطرته من الركام، ويخلص أجهزة الاستقبال الفطرية مما ران عليها وعطل وظائفها، ويفتح منافذ الفطرة لتتلقى الموحيات المؤثرة وتستجيب لها(3).

هذا بصفة عامة، وبصفة خاصة كان القرآن الكريم يخوض بالعقيدة معركة حية واقعية. ومن ثم لم يكن شكل (النظرية) هو الشكل الذي يناسب هذا الواقع الخاص، إنما شكل المواجهة الحية للحواجز والمعوقات النفسية وغيرها وكان القرآن الكريم يواجه واقعاً بشرياً بكل ملابساته الحية ويخاطب البشرية بجملتها في خضم هذا الواقع(4).

إن القرآن الكريم وهو يبني العقيدة في ضمائر الجماعة المسلمة، كان يخوض بهذه الجماعة معركة ضخمة مع الجاهلية من حولها، ومن هذه الملابسات ظهر بناء العقيدة في تجمع عضوي حيوي، وتكوين تنظيمي مباشر للحياة ممثل في الجماعة المسلمة نفسها، وكان نمو الجماعة المسلمة في تصورها الاعتقادي وفي سلوكها الواقعي وفق هذا التصور(5). هدم العقائد الفاسدة في القلوب وفي مقدمتها الشرك، وأقام على أثرها بنيان العقيدة الصحيحة الصافية النقية، بأسلوب مقنع سلس يفهمه العامة والخاصة ويفهمه الناس على مختلف مستوياتهم(6). قائماً على الإقناع العقلي مرتبطاً بإثارة الوجدان والعواطف والانفعالات الإنسانية، إنه طرق العقل والقلب معاً حيث بدأ -أي القرآن الكريم- من المحسوس المشهود المسلم به كالمطر، والرياح، والنبات، والرعد، والبرق، والشمس، والقمر، ثم ينتقل إلى إثبات وجود الله وعظم قدرته وصفات الكمال، مع استخدام أسلوب الاستفهام أحياناً إما للتقريع وإما للتنبيه، وإما للتعجب، والتذكير بالجميل ونحو ذلك مما يثير في النفس الانفعالات الربانية: كالخضوع والشكر ومحبة الله ثم تأتي العبادات والسلوك الرفيع تطبيقاً عملياً للأخلاق الربانية(7).

(1) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص29.
(2) عبد الفتاح عاشور: منهج القرآن في تربية المجتمع – الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الخانجي بمصر 1399هـ – 1979م، ص 91.
(3) سيد قطب: معالم في الطريق –مرجع سابق، ص42.
(4) المرجع نفسه، ص42، 43.
(5) سيد قطب: معالم في الطريق – مرجع سابق، ص42..
(6) عبد الفتاح عاشور: منهج القرآن في تربية المجتمع – مرجع سابق، ص42.
(7) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية – الطبعة الأولى – دمشق: دار الفكر ، 1399هـ-ص ص22،21.

4- التدرج في عملية التربية حيث نزل القرآن منجماً حسب ما تقتضيه الأحداث، الأمر الذي كان يترك أثراً كبيراً في تربية نفس الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه، تمثل في تثبيت الفؤاد وترسيخ الإيمان[1].، قال تعالى:﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**﴾(الفرقان: 32).

5- اعتمد القرآن الكريم في التربية على العبرة والموعظة الحسنة، ولهذا اشتمل القرآن الكريم على الكثير من قصص الأنبياء والرسل مع أقوامهم، والعقوبات التي حلت بالأقوام التي كذبت الرسل. ولقد ركز القرآن الكريم على الموعظة الحسنة كمنهج من مناهج التربية التي اتبعها؛ لما لها من إيقاع في القلب وتأثير على السلوك، لذلك أمر الله سبحانه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأن ينتهج سبيل الوعظ الحسن المرغب، غير المنفر فقال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾(النحل: 125)، ذلك لأن الموعظة الحسنة تزكية للنفس وتطهير لها وبتحققها يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات وعن الفواحش [2].

6- كما اهتم القرآن الكريم بضرب الأمثال على مستوى الأفراد؛ مثل قارون الذي كفر بالنعمة فحلَّ عليه غضب الله وعذابه وقد أشار الله إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ**﴾(القصص 81). وأصحاب الجنة الذين حرموا من النعمة نتيجة الشح وعدم الإنفاق في سبيل الله قال تعالى: ﴿ **إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلَا يَسْتَثْنُونَ . فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**﴾(القلم:17-20). وكان من منهج القرآن في التربية تعميق الصبر في نفوس الصحابة وتحمل المشاق بضرب الأمثال مرغباً في الخير وثوابه ومنفراً من الشر وعقابه بصورة فريدة كان لها إيقاعها في نفوس الصحابة، فقد استطاع المنهج القرآني إحياء إنسانية الإنسان وربطه بخالقه وبين علاقته بأخيه الإنسان وكون نظرته إلى الكون والحياة الدنيا وما بعد الحياة الدنيا من خلال العقيدة التي أرسى القرآن الكريم دعائم التربية عليها فاستقرت في القلوب فحولتها وفتحت بصائرها على الكون بما فيه ومن فيه فشعر الإنسان بإنسانيته وأحس أنه جزء من هذا الوجود ذو الرب الواحد والمعبود الواحد[3].

7- اعتماد المنهج القرآني في التربية على الحجة الدامغة والاستنتاج والملاحظة والاستقراء[4]. ولقد ظل القرآن المكي ينزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثلاثة عشر عاماً كاملة يحدثه فيها عن قضية واحدة لا تتغير ولكن طريقة عرضها لا تكاد تتكرر؛ لقد كان يعالج القضية الأولى والكبرى والأساسية في هذا الدين الجديد؛ قضية العقيدة ممثلة في قاعدتها الرئيسة؛ الألوهية والعبودية، وما بينهما من علاقة. ولم يتجاوز القرآن المكي هذه القضية الأساسية إلى شيء مما يقوم عليها من

(1) سيد قطب: معالم في الطريق – مرجع سابق، ص19.
(2) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية – مرجع سابق، ص26.
(3) عبد الفتاح عاشور:منهج القرآن في تربية المجتمع – مرجع سابق، ص283.
(4) محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن الكريم – في دراسة أجراها عمر عبيد حسنة –سلسلة قضايا الفكر الإسلامي – يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، المنصورة: دار الوفاء ، 1412هـ- 1981م، ص94.

التشريعات المتعلقة بنظام الحياة إلا بعد أن علم الله أنها قد استوفت ما تستحقه من البيان وأنها استقرت استقراراً مكيناً ثابتاً في قلوب العصبة المختارة من بني الإنسان[1].

ب- دعائم منهج التربية في مرحلة العهد المدني:(عشر سنوات):

ظل المنهج القرآني في التربية قائم على العقيدة حتى بعد رسوخها في أذهان اتباعها، فلم ينقطع الحديث عن العقيدة بانتهاء الفترة المكية، بل استمر حتى بعد تَكوُّن الدولة المسلمة في المدينة المنورة[2].

والفرق بين منهج القرآن الكريم في التربية في العهدين المكي والمدني يتمثل في إضافة خطاب آخر إلى خطاب العقيدة، ففي العهد المكي كان الخطاب واحداً للمخاطبين بالقرآن الكريم تمثل في العقيدة، أما في العهد المدني فقد أضيف إليه خطاب آخر تمثل في التشريعات والتوجيهات والتوعية السياسية وإعداد العدة للجهاد. وبعد أن كان الخطاب القرآني في العهد المكي يلقن من أجل بناء الأساس، صار في العهد المدني يلقن من أجل تشييد البناء بعد أن ترسخت قواعده في العهد المكي. إلا أن استمرار تلقين الخطاب القرآني للمؤمنين بعد أن آمنوا أمر ذو دلاله مهمة لأن معناه أن هذا الخطاب درس لا ينتهي ولا ينقطع أبداً مهما كانت حالة المؤمن من الإيمان فلا بد من التذكير الدائم حتى للمؤمنين.

والتأكيد على العقيدة حتى بعد رسوخها تعد إشارة واضحة إلى أن الشريعة بما تحمله من تكاليف وتوجيهات لا يمكن فصلها عن العقيدة كما أنها لا يمكن أن تلقى طريقها إلى التطبيق بصورة إيجابية بدون العقيدة. وبارتباط العقيدة والشريعة نتج عنها المعرفة الإيجابية بالله سبحانه وتعالى التي افتقدتها البشرية في جاهليتها قبل الإسلام كما تفتقدها اليوم في كثير من جوانب حياتها المختلفة.

ولقد كانت العقيدة في بداية العهد المكي تهيئ الفرد لتحمل الأذى، أما في عهد تأسيس الدولة وتشييد البناء - في العهد المدني -؛ فإن العقيدة ربت الفرد على تحمل المخاطر المتمثلة في الجهاد. والجهاد يتطلب قيادة ولذلك جاءت التوجيهات لاحترام أولي الأمر وطاعتهم في غير معصية لله سبحانه وتعالى والعودة إليهم في كل مشكلة حتى لا تنتشر الفوضى في التصرفات الفردية غير المنضبطة.

وفي العهد المدني عهد بناء المجتمع والدولة والحفاظ عليها بالجهاد، تم وضع أسس للجوانب الأخلاقية التي بينت علاقة المجتمع بعضه ببعض، وأسست للجوانب السياسية التي بينت علاقة الدولة والمجتمع المسلم باليهود والنصارى والمنافقين. بالإضافة إلى العديد من التوجيهات التي شملت جميع جوانب الحياة المختلفة التي كانت تنمو بسرعة في المجتمع الإسلامي الناشئ[3].

---

(1) سيد قطب: معالم في الطريق – مرجع سابق، ص24.
(2) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق، ص30.
(3) المرجع السابق، ص30.

المحور الثالث
نماذج تطبيقية من تربية الرسول وتعليمه لأصحابه
وفق الأسس المنهجية للتربية بالقرآن

ما أحوج الأمة اليوم إلى تلمس خطى الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تربيته أصحابه وصقل مواهبهم، ولا سبيل إلى ذلك إلا باتباع هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول تعالى: ﴿**واتبعوه لعلكم تهتدون**﴾(الأعراف:158). فلقد أفرز منهج القرآن وتطبيقاته في الهدي النبوي في التربية جيلاً فريداً من البشر إنه جيل الصحابة –رضوان الله تعالى عليهم–. فلنلتمس هديه (صلى الله عليه وسلم) في تربية أصحابه؛ لنتعلم منه (صلى الله عليه وسلم) كيف تكون التربية الصحيحة وطرقها.

لقد كان وضع البشرية يوم بعث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وضعاً يبعث على الحسرة؛ فالرذيلة والأخلاق الدنيئة هي السائدة، والفضيلة والأخلاق النبيلة مستغربة ومنبوذة، رأى ملوكاً ظالمة ورعية مستعبدة ورهباناً وأحباراً أصبحوا أرباباً من دون الله...، فنظر النبي (صلى الله عليه وسلم) وكما هي طبيعة الأنبياء من قبل بين الرأفة والرحمة فرأى إنساناً قد هانت عليه إنسانيته رآه يسجد للحجر والشجر والنهر وكل ما لا يملك لنفسه النفع والضر، رأى إنساناً معكوسا قد فسد نظام فكره فإذا النظري عنده بديهي والعكس[1].

وقد استطاع الرسول (صلى الله عليه وسلم) إحداث التغيير في مجتمع هذا وضعه وإنسان هذا طبعه؛ يقول الشيخ أبو الحسن الندوي[2]: "بالإيمان الواسع العميق والتعليم النبوي المتقن، والتربية الحكيمة الدقيقة وبشخصيته الفذة وبفضل القرآن الكريم المعجز الذي لا تنقضي عجائبه ولا تخلق جدته، بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الإنسانية المحتضرة حياة جديدة. واستطاع أن يغير أوضاعها جملة وتفصيلاً، لقد وضع (صلى الله عليه وسلم) مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشرية فانفتح على ما فيها من كنوز وعجائب وقوى ومواهب أصاب الجاهلية في قلبها وصميمها فقضى على عقيدتها الفاسدة واجتث أخلاقها الفاجرة وأقام على إثرها عقيدة التوحيد وأخلاق لا إله إلا الله الفاضلة، فأخرج بذلك أمة خير أمة أخرجت للناس. والمنهج الذي أتبعه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في التربية هو منهج القرآن فإذا كان منهج القرآن الكريم في التربية يمثل الجانب النظري –إذا صح هذا التعبير– فإن منهج النبي (صلى الله عليه وسلم) يمثل الجانب العملي التطبيقي فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قرآناً يتحرك، وعندما سئلت عائشة –رضي الله تعالى عنها– عن خلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قالت: (كان خلقه القرآن). لقد كان للتغيير الذي أحدثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في نفوس جيل الصحابة الرعيل الأول للأمة الإسلامية أثر بالغ في تغيير ملامح مستقبل البشرية.

ويصف الشيخ الندوي[3]. هذا التغيير قائلاً: "إن الانقلاب الذي أحدثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في نفوس المسلمين وبواسطتهم في المجتمع الإنساني أغرب ما في تاريخ البشرية، وقد كان هذا الانقلاب غريباً في كل شيء، غريباً في سرعته وفي عمقه وفي شموله وفي وضوحه وقربه إلى الفهم".

---

(1) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – ط6 القاهرة: مكتبة الدعوة الإسلامية بالأزهر ، 1385هـ-1965م، ص78.

(2)المرجع نفسه – ص 108-111.

(3) المرجع نفسه – 88

لقد استخدم الرسول (صلى الله عليه وسلم) كل الطاقات الإنسانية لنشر دعوته وتحقيق المجتمع الذي أرسل من أجل بنائه وتحمل أنواع العذاب والجراحات للانتصار على الأعداء في كل مظهر من مظاهر الجهاد ضدهم[1] .لأن المعجزات الخارقة لم تكن طريقاً لدعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بل كان طريق دعوته تحريك العقل ودفع الإنسان إلى فهم نفسه وفهم ما حوله، وإدراك ما في الوجود من القوانين وأسرار ومحاولة اكتشافها لتسخيرها لصالحه وإقامة مجتمعه العادل عليها[2].

والدراسة الواعية لحياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) تعطينا البرهان القاطع على أنه ما من قانون من قوانين الحياة خلقه الله لأداء حق الأمانة والاستخلاف إلا اتبعه (صلى الله عليه وسلم) لبناء المجتمع الإسلامي، سواء أكان ذلك في حياته الفردية أم في حياته الاجتماعية وسواء كان ذلك في سلم أم في حرب[3].

وقد كان من أهم خصائص منهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في التربية هو توحيد الله في أسمائه وصفاته والإيمان باليوم الآخر وبالعقيدة عموماً. وكان منهجه (صلى الله عليه وسلم) في التربية إلى جانب ذلك موضوعياً موافقاً للفطرة البشرية التي فطر الله الناس عليها، وقد كان نتيجة ذلك تزكية نفوس من شملهم ووصل إليهم منهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في التربية.

وكانت **أول خطوة** خطاها الرسول (صلى الله عليه وسلم) هي: زعزعة عقيدة الشرك، وكانت **الخطوة الثانية** هي: غرس عقيدة التوحيد؛ لتحل محل عقيدة الشرك.

وكانت **وسائل هذا المنهج متعددة ومتنوعة** منها: لفت الأنظار إلى بطلان الشرك، وبطلان تعدد الآلهة، وكذا ضرب الأمثال ولفت الأنظار إلى بيان حقيقة عقيدة التوحيد وإثباتها ، وبعد هدم عقيدة الشرك وإقامته (صلى الله عليه وسلم) على أثرها عقيدة التوحيد، كانت **الخطوة الثالثة** وهي هدم سلوكيات وأخلاقيات عقيدة الشرك وإقامته على أثرها سلوكيات وأخلاقيات عقيدة التوحيد.

وكان القرآن المكي يتنزل بمعاني تربوية عقائدية وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحدثهم عن الله عز وجل ويرسخ في نفوسهم جلال عظمته ويبين لهم في شخصه الكريم كيف تكون العبودية لله سبحانه وتعالى[4].

كما كان (صلى الله عليه وسلم) يحدثهم عن اليوم الآخر وما فيه من أهوال للكافرين وتكريم للمؤمنين وكان يحدثهم عن أخلاق لا إله إلا الله، ويتابع ممارستهم لها حتى تصبح عادة تلقائية، وسار منهجه (صلى الله عليه وسلم) على هذا المنوال، حتى جاء الابتلاء لأن الجاهلية تضيق بدعوة وأخلاق لا إله إلا الله حتى في حالة المهادنة[5].

الأمر الذي اضطر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى أن يلجأ إلى الدعوة السرية لدعوة الناس واستمر على هذا المنوال حتى أذن له الله بالهجرة إلى المدينة. وقد زاد من فعالية منهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في التربية والتغيير **التدرج في إحداث التغيير؛** فلم يستعجل الخطى ولم يحاول قطف الثمر قبل أوانه.

---

(1) محسن عبد الحميد: المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري –كتاب الأمة رقم 6، مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية – بيروت – رجب 1405هـ- نيسان 1985م، ص63-64.
(2)المرجع نفسه – ص64.
(3)محسن عبد الحميد: المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري –مرجع سابق، ص64.
(4) محمد قطب:منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق، ص 75.
(5) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق، ص58.

وكان خطاب التغيير الذي حمله الرسول (صلى الله عليه وسلم) موجهاً إلى العالم كله وعمل (صلى الله عليه وسلم) على إحداث تغيير نفسي عميق للنفس الإنسانية ولم يقتصر في إحداث هذا التغيير على جانب واحد ولم يركز على داء بعينه بل عمل على إحداث التغيير في جميع جوانب الحياة، وعمل على إزالة كل الأمراض والعلل والأدواء؛ التي كانت تعاني منها البشرية في ذلك الحين واستئصالها ، وبذلك أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) التربية من الباب الواسع الذي ينبغي أن يؤتى، وصمم وأخرج مفتاح التغيير للعقل المعقد الذي أعيا فتحه جميع المصلحين؛ الذين حاولوا فتحه بغير مفتاحه(1).

وكان سبيله في إحداث هذا التغيير قائم على العقيدة الخالصة الصحيحة، ورفض كل شيء يفسد ويعكر من صفوها، لأن الدخول في تفاصيل الإسلام تقتضي في البداية الاعتراف بحقيقة لا إله إلا الله ورفض ما يخالفها أو يناقضها، والخضوع لله والاستسلام له قبل الحديث عن الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم. لذلك ركز الرسول (صلى الله عليه وسلم) على بيان حقيقة لا إله إلا الله، وكان ينادي في الناس (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) (2).

لأنه لا يمكن أن يكون اتباع حقيقي للإسلام وتغيير حقيقي لواقع الناس مطابق لما جاء به الإسلام ما لم يتم في البداية الاعتراف بحقيقة لا إله إلا الله، ورفض ما يخالفها أو يناقضها كنقطة بداية وانطلاق. وقد كانت وسلية الرسول (صلى الله عليه وسلم) لإحداث عملية التغيير أداة تربوية متمثلة في عدة جوانب كان في مقدمتها:

1- الحكمة والموعظة الحسنة القائمة على الترغيب والترهيب:

وهي مجموعة أقوال وأفعال وتقريرات الرسول (صلى الله عليه وسلم) التي تربي في النفس دوافع تحبب عمل الخير وروادع تبعد عن عمل الشر اشتملت على كل أمور حياة الفرد المادية والروحية والفردية والاجتماعية والتعبدية والفكرية(3).

2- القدوة الحسنة:

لقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) مربياً عظيماً ذا أسلوب تربوي يراعي حاجات الناس على اختلاف مستوياتهم وأعمارهم يراعي حاجات الطفولة، وطبيعتها ويأمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، أي يراعي الفروق الفردية بينهم، كما يراعي مواهبهم واستعداداتهم وطبائعهم ويراعي في المرأة أنوثتها وفي الرجل رجولته وفي الكهل كهولته، ويتلمس دوافعهم الغريزية فيجود بالمال لمن يحب المال حتى يتألف قلبه، ويقرب إليه من كان في قومه ذو مكانة وهو من خلال ذلك يدعوهم إلى الله وإلى تطبيق شريعته لتزكية نفوسهم شيئاً فشيئاً، وتوحيد نوازعهم وقلوبهم وتوجيهها للعمل استغلالاً لطاقاتهم الجسمية والعقلية لتحقيق الخير والسمو وبذلك يسمو الفرد وينهض المجتمع(4).

إن إيجاد منهج للتغيير متكامل قائم على خطة محكمة لنمو الإنسان، وتنظيم مواهبه وحياته النفسية والانفعالية والوجدانية والسلوكية، والاستفادة من طاقاته على أكمل وجه، لا يغني عن وجود

(1) أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – مرجع سابق، ص 81-83.
(2) المرجع نفسه، ص 83.
(3)عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية –مرجع سابق، ص 22.
(4) المرجع نفسه، ص24.

دافع تربوي صالح للتغيير يمثله إنسان مرب، يحقق بسلوكه وأسلوبه التربوي كل الأهداف التي يراد بها إقامة المنهج التربوي[1].

وهذا هو الذي حدث لجيل الصحابة لقد وجد فيه هذه القدوة بما تحمله الكلمة من معنى وبالتالي كان ذلك التغيير الكامل العظيم للإنسان الذي شمله ذلك التغيير. وقد عبر الله – سبحانه وتعالى – عن هذه القدوة بقوله: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾(الأحزاب:21).

فالرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يمثل الجانب التطبيقي للقرآن الكريم، ولقد كان سلوكه وأقواله وأفعاله وتصرفاته وأخلاقه (صلى الله عليه وسلم)؛ قرآناً يشاهده ويلمسه الصحابة بصورة عززت فيهم جوانب التغيير والانفلات من الماضي بكل متطلباته ومعوقاته وترسباته.

والإنسان بفطرته يحتاج إلى قدوة تكون مثار إعجابه واحترامه حتى يرتبط بها في فعلها وقولها، وخاصة عندما يكون الإنسان في موقف غريب عليه لم يألفه بل ربما ألف غيره، كما حصل عندما أراد الله – سبحانه وتعالى – أن يهدم عادة وتقليداً ليس له أساس في منهج الله، وهو: التبني فعندما أراد الله ذلك كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) المبلغ عنه خير من ينفذ هذا الأمر، حتى يكون قدوة لمن وجه الخطاب إليهم فأمر الله رسوله (صلى الله عليه وسلم) بالتزوج بمطلقة ابنه من التبني ليبين للناس عملياً بأن زيد بن حارثه ليس له شيء من حقوق البنوة الطبيعية، وتشريعاتها ولأن العادة والتقليد كانا ضاربين جذورهما في البيئة الجاهلية التي كان ينتمي إليها الصحابة قبل انتمائهم للإسلام. فإن ذلك كان سيصعب تنفيذه من قبل الصحابة، ولذلك كان لابد أولاً من القدوة في تنفيذ مثل هذا الأمر حتى يقتدي به الناس فكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) القدوة الذي باشر بنفسه بتكليف من الله عز وجل والذي نصه[2] ﴿... **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾(الأحزاب:37).

وتتجلى القدوة إلى جانب ما تم ذكره في المواقف التي تحتاج إلى تضحية كالحروب والإنفاق ونحو ذلك وقد مارس الرسول (صلى الله عليه وسلم) بكل فعالية واقتدار أخلاقيات وسلوكيات القدوة الحسنة في شأنه كله في الحرب والسلم؛ ففي غزوة الخندق كان يحفر بيده الشريفة مع أصحابه وكان يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، وكان لهذه القدوة أكبر الأثر في نفوس الصحابة. وتجلت عظمة أثر هذه القدوة عندما أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) أصحابه في صلح الحديبية أن يتحللوا من العمرة فلم ينفذوا وعندما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لزوجه أم سلمة (هلك الناس أمرتهم فلم ينفذوا) أو كما قال (صلى الله عليه وسلم) قالت له: (أفعل أنت ذلك حتى إذا فعلت فعلوا) وبالفعل عندما رأى الصحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باشر ذلك قاموا على الفور وفعلوا مثل ما فعل الرسول (صلى الله عليه وسلم). وتأثير القدوة في نفوس الناس أمر طبيعي؛ لأنها نابعة من غريزة تكمن في نفوس البشر أجمع لأنها رغبة ملحة تدفع الإنسان مهما كان عمره إلى محاكاة سلوك من هو في موضع القدوة[3].

والقدوة الناجح هو الذي يتطابق قوله مع فعله وهذا ما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتميز به، لذلك وصف بأن خلقه كان القرآن وكان قرآناً يتحرك. والقدوة الحسنة في أبسط معانيها تعني

(1)المرجع نفسه، ص228.
(2)عبد الرحمن النحلاوي – أصول التربية الإسلامية – مرجع سابق، ، ص229.
(3)المرجع السابق، ص 231.

الشخصية المتكاملة السوية التي يتطابق قولها مع فعلها، وفي المقابل نجد القدوة السيئة بخلاف ذلك. ولذلك حثَّ الله عز وجل على اتباع القدوة الحسنة ممثلة في شخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحذر من القدوة السيئة ممثلة في المنافقين في كل زمان ومكان.

3- البيئة الصالحة:

للبيئة أهمية كبيرة وأثر بالغ في إحداث عملية التغيير، ولذلك فإن أي تغيير لا يمكن أن يحقق أهدافه كاملة بدون إيجاد البيئة التي تتقبل التغيير المطلوب إحداثه. ومن هنا لم يهمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) دور البيئة في إحداث التغيير؛ لأن البيئة تترك في نفس الفرد المراد تغييره أثراً كبيراً، فهي المدرسة التي يأخذ عنها الإنسان عاداته وتقاليده.. والبيئة الفاسدة تدعو إلى الفساد والإنسان بطبعه ضعيف ﴿...**وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾ (النساء: 28).

ويندر أن يقاوم الإنسان عوامل الفتنة والإغراء، ومن الصعب تكليفه بالاعتدال والمجتمع الذي يعيش فيه منغمس في الفسق والفجور لذلك عمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الوهلة الأولى لدعوة التغيير على إيجاد البيئة الصالحة والمناسبة لدعوته ولم يفرض الله سبحانه وتعالى ما فرض من حدود إلا بعد أن تم إيجاد هذه البيئة[1].

وقد طبق الرسول (صلى الله عليه وسلم) المنهج القرآني في التربية من أجل إيجاد هذه البيئة على مرحلتين على النحو التالي:

المرحلة الأولى: كانت البيئة التي وجد فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مكة، تُعارض بشدة التغيير الذي جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) [2]، الأمر الذي جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يفكر في إيجاد البيئة الصالحة والمناسبة لدعوته وقد تم إيجاد هذه البيئة على النحو التالي: [3].

أ- التخلي شيئاً فشيئاً عن البيئة الجاهلية في مكة.

ب- السعي إلى تكوين بيئة خاصة بالمسلمين، وكانت دار الأرقم أبن أبي الأرقم نواة هذه البيئة.

ج- شعب أبي طالب: وهذه البيئة وإن كانت قد فرضت على النبي (صلى الله عليه وسلم) بخلاف دار الأرقم، إلا أنها على الرغم من قساوتها قد أسهمت في تربية جيل الصحابة بصورة إيجابية. والبيئة التي تربى في ظلها الصحابة في العهد المكي، سواء تلك التي تم إيجادها برغبة من النبي (صلى الله عليه وسلم) أو تلك التي فرضت عليهم؛ كانت بيئة خاصة بتكوين الفرد المسلم وتهيئته لإنشاء المجتمع المسلم والدولة المسلمة.

المرحلة الثانية:إذا كانت البيئة التي أوجدها النبي (صلى الله عليه وسلم) في العهد المكي قد اقتصرت على تكوين الفرد المسلم وتهيئته؛ لإنشاء المجتمع المسلم والدولة المسلمة، فإن البيئة التي أوجدها النبي (صلى الله وسلم) في العهد المدني، قد اتسمت بالشمول؛ حيث شملت تكوين الفرد المسلم والمجتمع والدولة المسلمة بفعل الظروف التي توافرت لها وحرمت منها البيئة الإسلامية في العهد المكي.

وقد اختار الرسول (صلى الله عليه وسلم) المدينة لتكون الوعاء الذي احتوى البيئة التي أنشأها الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليتم على أرضها استكمال عملية التربية التي بدأها في مكة المكرمة ولم

---

(1) عبد الفتاح عاشور: منهج القرآن في تربية المجتمع – مرجع سابق، ص 266.

(2)أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – مرجع سابق، ص 95.

(3) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق، ج2، ص41.، عبد الفتاح عاشور: منهج القرآن في تربية المجتمع – مرجع سابق، ص 266 وما بعدها، عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ، بيروت: دار النفائس – 1397هـ، ص 88، 90.

يكن اختيار الرسول (صلى الله عليه وسلم) المدينة قائماً على اختيار عشوائي أو قائماً على الاختيار الاضطراري، وإنما كان قائماً على الاختيار المدروس والمبرمج لتوافر الظروف الملائمة لإقامة المجتمع المسلم والدولة المسلمة[1].

وكان في مقدمة هذه الظروف المناسبة لجعل المدينة أكثر من غيرها داراً لهجرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبيئة صالحة ومناسبة لاستكمال عملية التربية توافر الأنصار المؤيدين لدعوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والذين كانوا نتيجة جهود الرسول (صلى الله عليه وسلم) التربوية في العهد المكي والمتمثلة في اللقاءات التي تمت بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) من جهة وبين الأوس والخزرج من جهة أخرى؛ والتي تمخضت عن بيعة العقبة الأولى والثانية، التي قدمها الأوس والخزرج لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأرسل مصعب بن عمير – رضي الله عنه – إلى المدينة سفيراً للرسول (صلى الله عليه وسلم) ومعلماً للمسلمين من الأوس والخزرج وداعياً إلى الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) في المدينة[2].

وقبل أن يعزم الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الهجرة إلى المدينة عرض الأمر على المسلمين من الأوس والخزرج وأعطوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) عهداً لحمايته وحماية دعوته[3].

أما المرتكزات الأساسية للبيئة الصالحة والمناسبة لاستكمال عملية التربية التي عمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) على إيجادها في العهد المدني فقد تمثلت في الآتي:

أ- المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين: ذلك أنه لما قدم الرسول (صلى الله عليه وسلم) المدينة مهاجراً من مكة، كان أول عمل عمله (صلى الله عليه وسلم) هو مؤاخاته بين الأنصار والمهاجرين، وكانت تلك اللحظة هي ميلاد الأمة الإسلامية، وفي الوقت نفسه ميلاد الدولة الإسلامية؛ حيث امتلكت مقومات قيامها والمتمثلة في الأرض والأمة، بعد طول معاناة استغرقت ثلاثة عشر عاماً. وإذا كان منهج القرآن ومنهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في العهد المكي قد ركزا جهودهما على إيجاد العقيدة النقية الصحيحة القائمة على التوحيد، وهي الأساس الأول للتربية الإسلامية فإن المؤاخاة التي عقدها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين المهاجرين والأنصار كانت بمثابة تدريب عملي على (الأخوة الإسلامية) التي بعثتها العقيدة الإسلامية في نفوس المؤمنين بها[4]. قال تعالى:﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾(الحجرات:10). وكانت كذلك تدريبا عملياً على التكافل وهو من المعاني العميقة في بناء الجماعة المسلمة؛ حيث يتولى القادرون على أساس الأخوة في الله من جانب، وعلى أساس التصرف في مال الله بما يرضي الله من جانب آخر، لأن العقيدة تربي المسلمين على أن المال الذي في أيديهم هو مال الله في الحقيقة، هو الذي وهبه وإن شاء أخذه وهو الذي ملَّكه لمن ملكه له، ومن ثم يختفي الجشع، وما دام آمن بهذا الدين، فإن الدين قد جعل للمحتاجين إليه في المجتمع المسلم حقاً، فينفق المسلم جزءاً من ماله برضاء تام وقناعة بل يشعر بالارتياح عندما ينفق ذلك.

(1) عماد الدين خليل: دراسة في السيرة – مرجع سابق، ص 130، 133.
(2) عماد الدين خليل: دراسة في السيرة – مرجع سابق، ص 130، 132.
(3) محمد الغزالي: فقه السيرة، مرجع سابق، ص158، 159.
(4)محمد قطب: منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق، ج2، ص69.

وهذا الإنفاق يشمل الزكاة المفروضة التي لها مقدار محدد، والصدقات المتروكة للتطوع، وبذلك يتحقق التكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم الذي سبق أن تحقق في أول بناء شيد في مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [1].

وبالإخاء بين المؤمنين (مهاجرين وأنصار) الذي بناه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأشرف على تنفيذ البناء بنفسه؛ ذابت العصبيات الجاهلية فلا حمية إلا للإسلام، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بتقواه، وجعل الرسول (صلى الله عليه وسلم) هذه الأخوة عقداً نافذاً ارتبط بالتضحية والإيثار، وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة[2]. وهكذا استطاع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بهدي القرآن، والحكمة التي أهداه الله إياها أن يوجد هذه الأخوة الحقة التي لم تشهد تكراراً في صورة جيل، وإن تكررت بصورة فردية عبر التاريخ.

ب- بناء المسجد: بعد أن فرغ الرسول (صلى الله عليه وسلم) من بناء العقيدة النقية في نفوس أصحابه، وإيجاد الأخوة الإسلامية، شرع في بناء المسجد الذي تم من خلاله رفع نداء عقيدة التوحيد التي طالما حوربت وإقامة الصلوات التي تربط الإنسان بخالقه، وتنقي القلب من أدران الأرض ودسائس الحياة الدنيا، ويتردد عليه المسلمون في اليوم والليلة خمس مرات تزيد من ألفتهم وأخوتهم واعتصامهم بحبل الله[3]. وهو إلى جانب ذلك مدرسة للتعليم والتربية والتوجيه الروحي والمادي.

ج- بناء الأسرة المسلمة: بعد أن تم بناء الفرد جاء الدور على بناء المجتمع وكان الاهتمام بالأسرة كبيراً باعتبارها القاعدة التي يقوم عليها المجتمع، وكان منهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) فريداً في بناء الأسرة وربط أفرادها بعلاقات وطيدة قائمة على المحبة والرأفة والمودة والرحمة، وأرسى لها القرآن دعائم ثابتة واضحة المعالم وحدد لكل طرف فيها ماله وما عليه من حقوق وواجبات وضمن للجميع حياة آمنة مستقرة[4].

د- إرساء مبادئ حسن الجوار: لم يكتف الرسول (صلى الله عليه وسلم) بإيجاد العلاقة الطيبة بين المؤمنين بصفة عامة وأفراد الأسرة بصفة خاصة بل عمل على إيجاد العلاقات الطيبة بين أهل الجوار وأوصى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالجار كثيراً وحذر من إيذاء الجار [5].

هـ- **تحصين البيئة من المخاطر:** بعد أن عمل الرسول (صلى الله عليه وسلم) على إيجاد المرتكزات الأساسية للبيئة الصالحة، عمل (صلى الله عليه وسلم) على تحصينها من أي خلل قد يواجهها؛ سواء كان هذا الخلل من داخلها أم من خارجها، فعمل على تأمينها من داخلها؛ بتأكيده على مرتكزات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعمل على تأمينها من الأخطار المحيطة بها من خارجها؛ وفي مقدمتها الخطر اليهودي، وتم ذلك من خلال عقد المعاهدة مع اليهود المحيطين بهذه البيئة والمتربصين بها[6].

و- العمل على حماية المجتمع والدولة المسلمة: ولم يقتصر حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على تحصين البيئة الإسلامية الناشئة من الخطر اليهودي المحيط بها، بل عمل كذلك على إعداد

---

(1) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية – مرجع سابق، ج2، ص69.
(2) محمد الغزالي: فقه السيرة – مرجع سابق، ص192.
(3) المرجع نفسه، ص189- 190.
(4) عبد الفتاح عاشور: منهج القرآن في تربية المجتمع – مرجع سابق، ص312.
(5) محي الدين النووي: رياض الصالحين، بيروت: دار الفكر، ص99-100.
(6) محمد الغزالي: فقه السيرة، مرجع سابق، ص195، 197.

المجتمع المسلم الناشئ، ودولته الناشئة على تحمل مسؤولية الدفاع والقيام بمهمة التربية الإسلامية وإيصالها إلى كل مكان.

فبعد أن كان منهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مكة يقتصر على إعداد الفرد من خلال العقيدة على تحمل الأذى، فقد عمل النبي (صلى الله عليه وسلم) في العهد المدني على إعداد المجتمع من خلال العقيدة أيضاً، على تحمل المخاطر المتمثلة في الدفاع عن دولته الناشئة وكيانه؛ من خلال الغزوات والمعارك التي كان ينفذها الرسول (صلى الله عليه وسلم) [1] بين الحين والحين الآخر، لمصلحة عملية التغيير التي قاد لوائها[2]. وهكذا أفرز منهج القرآن الكريم وتطبيقات ذلك المنهج في الهدي النبوي الشريف في التربية جيلاً فريداً من البشر إنه جيل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

المحور الرابع: المبادئ التربوية المستنبطة من تطبيقات الرسول لدعائم المنهج القرآني في تربيته لأصحابه وتعليمهم[3].

وبعد أن عرضت الباحثة لأسس المنهج القرآني في التربية والتعليم وبعض النماذج التطبيقية من تربية الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتعليمه لأصحابه وفق الأسس المنهجية للتربية بالقرآن، تعرض في السطور التالية للمبادئ التربوية المستنبطة من تطبيقات الرسول لدعائم المنهج القرآني في تربيته لأصحابه، وذلك على النحو التالي:

-اغتنام الفرصة في تربية الصحابة:

وتلك وسيلة مهمة جدًّا من وسائل المربي وهي تحتاج إلى فطنة عالية وتستلزم انتباهاً كبيراً حتى لا يفوت فرصة إلا واستغلها. ولقد كان (صلى الله عليه وسلم) لا يرى شيئا يستحق التعليق أو التنبيه إلا وعلق عليه وأشار إليه، وينتهز الفرص والسوانح والمواقف لينصح أصحابه، وكان لذلك الأثر الكبير في نفوسهم ذلك أن النصيحة أو التوجيه من خلال موقف أمر لا ينسي وينطبع في الذاكرة. كما أن ترك النصيحة في وقتها ربما جعل من تقوم بتربيته يظن أن ما فعله صحيحاً. فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يتجول في السوق ذات يوم، -كما قال أبو هريرة -: (مرَّ علَى صُبرةٍ مِن طعامٍ فأدخلَ يدَهُ فيها ، فَنالَت أصابعُهُ بللًا . فقالَ : يا صاحبَ الطَّعامِ ما هذَا ؟ قالَ : أصابتْهُ السَّماءُ ، يا رسولَ اللَّهِ. قالَ أفَلا جعلتَهُ فَوقَ الطَّعامِ حتَّى يراهُ النَّاسُ ثمَّ قالَ مَن غشَّ فلَيسَ منَّا)[4].

وفي هذا الحديث انتهز (صلى الله عليه وسلم) هذه الفرصة في تعليم هذا الصحابي وتعليم جميع المسلمين من التجار وغيرهم حرمة الغش في البيع وإخفاء عيب السلعة، وكيف أن من غش المسلمين فليس منهم. وها هو (صلى الله عليه وسلم) يخرج على أصحابه عند الصلاة وكأنه رآهم غير معتدلين في الصف، فماذا فعل؟ هل فوت تلك الفرصة في تعليم أصحابه؟ على الرغم من أن الصلاة قد أقيمت؛ فعن جابر بن سمره -رضي الله عنهما- قال: خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: "ألا

---

(1)محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ج2، ص70

(2) نقلا عن: د. سليم عبده قائد القباطي: عوامل نجاح التربية الإسلامية في تربية الصحابة، ص 4-10

(3) موقع المسلم: التربية الإسلامية بين اهتمام المنهج وتفريط المربين مقال للكاتب:مجدي مصطفى بتاريخ | 1427/6/13 هـ 1435/12/1هـ. وانظر أيضاً:منال موسى علي دبابش:منهج الرسول – صلى الله عليه وسلم- في التربية من خلال السيرة النبوية، فلسطين: رسالة ماجستير، غزة، الجامعة الإسلامية، كلية التربية، 1429هـ/ 2008م.

(4) أخرجه الألباني في صحيح :صحيح الترمذي – الصفحة أو الرقم1315، وقال حديث صحيح.

تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم" فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: "يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف" [1].فهذه نصيحة عمليه منه (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه من خلال موقف، وعند أداء فريضة فلعلهم لا ينسون تلك النصيحة أبداً وكلما وقفوا للصلاة تذكروها.

فعلى كل ولي أمر ألا يفوت فرصة في النصح لأولاده أو من يقوم بتربيتهم متحججاً بأنهم مازالوا صغاراً بل ينتهز كل فرصة وكل سانحة وكل موقف ليوجههم ويرشدهم فتنطبع نصائحه في أذهانهم ولا ينسونها.

- مشاركة المعلم للمتعلمين:

ومن الشواهد الدالة على ذلك خلال السيرة النبوية العطرة، نجد أنه (صلى الله عليه وسلم) كان يحرص على تأديب صحابته وتعليمهم وغرس القيم الأخلاقية فيهم، بالقدوة الحسنة فقد عمل في بناء المسجد النبوي وشارك (صلى الله عليه وسلم) أصحابه في حفر الخندق حول المدينة بنفسه وهو يربط على بطنه حجراً من الجوع وهو يقول: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فارحم الأنصار والمهاجرة. والصحابة يردون عليه ويقولون :نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً.([2]).فينبغي ألا ينسى أي مربٍ قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾(البقرة:44).

وهو أمر له فعل السحر في القلوب ولقد كان (صلى الله عليه وسلم) في الحرب مثلا في أوائل الصفوف وكان الصحابة –رضوان الله عليهم– يحتمون به إذا حمى القتال في المعركة، هو أمرهم بالقتال ورغبهم فيه وفي بذل نفوسهم لله –سبحانه وتعالى– ثم هو في الصفوف الأولى يقاتل معهم. وقد انعكست تضحيات النبي (صلى الله عليه وسلم) وجهاده وثباته وعلمه وخلقه على أصحابه فضربوا المثل الأعلى في التضحيات.

- تفقد أحوال المتعلمين:

ولقد كان (صلى الله عليه وسلم) يعرف أصحابه كلهم ويتفقد أحوالهم ويسأل عن غائبهم ويتعهدهم جميعا؛ فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من أصبح منكم اليوم صائماً؟" قال أبو بكر: أنا، قال: "فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ " قال أبو بكر: أنا، قال: "فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟" قال أبو بكر: أنا، قال: "فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ " قال أبو بكر: أنا، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة"[3].

وفي هذا الحديث نراه (صلى الله عليه وسلم) قد نشط أصحابه على العمل الصالح بطريقة عملية ومبتكرة ودون أن يلوم أحداً منهم على تقصيره أو يسأله ماذا فعل بالضبط، لكنه كان يسأل سؤالاً عاماً من فعل كذا وكذا فلما اجتمعن في أبى بكر كانت المفاجأة في النهاية أن جائزته هي الجنة، وفي ذلك حافز للجميع على العمل لنيل نفس الجائزة، وهو ما يحتاج إلى جهد وعمل ومواظبة على الخير، كما أن كل واحد من الحاضرين سوف يوبخ نفسه بنفسه ويلومها على تقصيرها فيكون في ذلك دافعا لهم جميعا على الخير .

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه - الصفحة أو الرقم661 :

(2)ابن هشام، ج3: 163

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، الصفحة أو الرقم1028 .

وهذه قصه يرويها لنا الصحابي الجليل جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – تدلل لنا كيف كان (صلى الله عليه وسلم)يسأل ويعرف ويهتم بأخبار أصحابه جميعاً. فقد روى البخاري ومسلم وابن سعد في طبقاته وابن هشام في سيرته عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– قال: خرجت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى غزوة ذات الرقاع على جمل لي ضعيف فلما قفل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (يعنى رجع من الغزو) جعلت الرفاق تمضى وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث كان النبي عليه الصلاة والسلام يذهب في طول الجيش وعرضة يتفقد أصحابة) فقال مالك يا جابر؟، قلت يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا، قال أنخه، فأنخته وأناخ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ثم قال أعطني هذه العصا من يدك، ففعلت فأخذها فنخسة بها نخسات ثم قال اركب، فركبت فخرج والذي بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقه (يعنى يسابقها وقد تغيرت حالته من البطء إلى السرعة والنشاط) وتحدثت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال لي: أتبيعني جملك هذا يا جابر؟، قلت: يا رسول الله بل أهبه لك، قال: لا ولكن بِعْنيه، قلت: فثمنيه يا رسول الله (يطلب منه تقدير ثمنه) قال: آخذه بدرهم، قلت: لا إذن تغبنني يا رسول الله، قال: فبدرهمين، قلت: لا، فلم يزل يرفع لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ثمنه حتى بلغ الأوقية فقلت: أفقد رضيت يا رسول الله، قال: نعم. قلت: فهو لك، قال قد أخذته، ثم قال: يا جابر هل تزوجت بعد؟، قلت: نعم يا رسول الله، قال أثيباً أم بكراً؟، قلت: لا بل ثيباً، قال: أفلا جارية تلاعبها، قلت: يا رسول الله إن أبى أصيب يوم أحد وترك لي بناتاً سبعاً فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن، قال: أصبت –إن شاء الله– أما إنا لو قد جئنا صراراً (وصرار مكان بأطراف المدينة) أمرنا بجزور فنحرت وأقمنا عليها يومنا ذاك وسمعت بنا فنفضت نمارقها (يعنى أنها إذا سمعت بمقدمهم أصلحت وسائدها ومنزلها واستعدت) فقلت: والله يا رسول الله مالنا من نمارق قال: إنها ستكون فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً.قال جابر: فلما جئنا صراراً أمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بجزور فنحر وأقمنا عليها ذلك اليوم فلما أمسى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)دخل ودخلنا المدينة.

قال جابر: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم جلست في المسجد قريبا منه فخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرأي الجمل فقال ما هذا قالوا يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر قال فأين جابر فدعيت له فقال يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك ودعا بلالاً فقال له أذهب بجابر فأعطه أوقية فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادنى شيئاً يسيراً فو الله مازال ينمو عندي ويرى مكانه من بيتنا.

ومن هذه القصة ينبغي أن يتعلم كل مرب كيف يهتم بأصحابه وبأحوالهم، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) برغم مشاغلة الكثيرة إلا أنه يعرف من أحوال جابر الكثير وكيف ضاحكه وواساه بطريقة لطيفة وحدثه في أمر زواجه وداعبه بمسألة شراء جمله منه ثم هو انتهزها فرصة لمساعدته فأعطاه الجمل والمال في آن واحد.

ينبغي أن يفهم المربى أنه ليس مجرد مصدر للمعلومات البحتة التي يلقيها على من يتعلمون منه وفقط؛ لكنه شخص يهتم بكل أحوالهم وشؤونهم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية فكل ذلك يمثل وحدة واحدة لا تتجزأ.

- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين:

ومن منطلق ما قرره (صلى الله عليه وسلم) من اختلاف الاستعداد. عن أبي موسى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) [1].

ومن هديه (صلى الله عليه وسلم) رعاية المواقف وحال المتعلم: فقد يتفق أن يسأل المتعلمون سؤالا واحدا، وتأتي الإجابات مختلفة باختلاف المواقف وما يجدي فيها، أو باختلاف السائلين وما يصلح لهم، ومع ذلك يأتي ما يأتي حقا، ويصادف حاجة تربوية، فيكون تأثيره أقوى وغناؤه أوضح. فعن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله! أي العمل أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله) [2].

(عن أبي يوسف خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم) متفق عليه. وسئل (صلى الله عليه وسلم): (أيُّ العملِ أفضلُ ؟ قال : الصلاةُ في أولِ وقتِها ، قلتُ : ثم أيُّ ؟ قال :الجهادُ في سبيلِ اللهِ ؛ قلتُ : ثم أيُّ ؟ قال :بِرُّ الوالديْنِ) [3].

-التعزيز بالتكرار:

فقد حرص (صلى الله عليه وسلم) على أن يكرر ما يرى ضرورة لتكراره، حتى يسمع من لم يسمع ويعي من لا يعي، ويزول الغموض عمن التبس عليه شئ، (عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم ثلاثا) [4].

-التعزيز بذكر الثواب:

فكثيرا ما يأتي الثواب عاملا معززا للحرص على السلوك الديني والإقبال عليه في حماسة. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (**لقد رأيتُ رجلًا يتقلَّبُ في الجنَّةِ ، في شَجرةٍ قطعَها من ظَهْرِ الطَّريقِ ، كانت تؤذي النَّاسَ**) [5].

ففي الحديث عمل هو إزاحة الأذى عن الطريق، وحافز قوي إليه هو الظفر بالجنة والسعادة المرحة الغامرة بنعميها.

- إتاحة الفرصة للراحة:

فقد كان من مبادئ التربية الإسلامية أن تنظم فترات للراحة من الدرس حتى لا تمل النفس أو يصدأ الذهن. عن عبد الله بن مسعود. قال: "كان (صلى الله عليه وسلم) يتخولنا بالموعظة في الأيام

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، الصفحة أو الرقم79.
(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، الصفحة أو الرقم84 .
(3) أخرجه ابن حزم –في المحلى عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه –الصفحة أو الرقم3/183 :
(4) أخرجه الألباني في صحيح الجامع – الصفحة أو الرقم4694 :
(5)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، الصفحة أو الرقم 1914.

كراهة السآمة علينا"[1]. وعن أبي وائل، قال: كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن. لوددت أنك ذكرتنا كل يوم. قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يتخولنا بها مخافة السآمة علينا)

ومن هديه (صلى الله عليه وسلم) الرفق في معاملة المتعلم: فمن مبادئ التربية الإسلامية الرفق بالمتعلم وعدم العنف في معاملته أو رميه بالعجز والجهل؛ لأن ذلك يصدمه صدمة نفسية قد تؤدي إلى كراهة التعلم أو الانصراف عنه انصرافا تاما. فعن معاوية بن الحكم السلمي (رضي الله عنه) قال: بينا أنا أُصلِّي معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم . إذ عطَس رجلٌ منَ القومِ . فقلتُ : يرحمُك اللهُ !فرَماني القومُ بأبصارِهم . فقلتُ : واثُكلَ أُمِّياه ! ما شأنُكم ؟ تَنظُرونَ إليَّ . فجعَلوا يَضرِبونَ بأيديهم على أفخاذِهم . فلما رأيتُهم يُصَمِّتونَني . لكني سكَتُّ . فلما صلَّى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم . فبِأبي هو وأمِّي ! ما رأيتُ مُعَلِّمًا قبلَه ولا بعدَه أحسنَ تَعليمًا منه . فواللهِ ! ما كهَرَني ولا ضرَبَني ولا شتَمَني . قال إنَّ هذه الصلاةَ لا يَصلُحُ فيها شيءٌ من كلامِ الناسِ . إنما هو التسبيحُ والتكبيرُ وقراءةُ القرآنِ .أو كما قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم . قلتُ : يا رسولَ اللهِ !إني حديثُ عهدٍ بجاهليةٍ . وقد جاء اللهُ بالإسلامِ . وإنَّ مِنَّا رجالًا يأتونَ الكُهَّانَ . قال فلا تأتِهم قال : ومِنَّا رجالٌ يتطيَّرونَ . قال ذاك شيءٌ يَجِدونه في صدورِهم . فلا يَصُدَّنَّهم (قال ابنُ المصباحِ : فلا يصُدَّنَّكم) قال قلتُ : ومنا رجالٌ يَخُطُّون . قال كان نبيٌّ منَ الأنبياءِ يَخُطُّ . فمَن وافَق خَطُّه فذاك قال : وكانتْ لي جاريةٌ تَرعى غنمًا لي قِبَلَ أُحُدٍ والجَوَّانِيَّةِ . فاطَّلَعتُ ذاتَ يومٍ فإذا الذيبُ [الذئبُ ؟ ؟] قد ذهَب بشاةٍ من غنمِها . وأنا رجلٌ من بني آدَمَ . آسَفُ كما يأسَفونَ . لكني صكَكْتُها صكَّةً . فأتَيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فعظَّم ذلك عليَّ . قلتُ : يا رسولَ اللهِ !أفلا أُعتِقُها ؟ قال ائتِني بها فأتَيتُه بها . فقال لها أينَ اللهُ ؟ قالتْ : في السماءِ . قال مَن أنا ؟ قالتْ : أنت رسولُ اللهِ .قال أَعتِقْها . فإنها مؤمنةٌ [2].

ومن هديه (صلى الله عليه وسلم) تعليم الناس ما تتقبله عقولهم: فليس من الأسس التربوية في الإسلام الإغراب أو الذهاب بالفكر إلى المجهول ومجابهة المتعلم بما ينكره عقله ولا يستسيغه أو يعجز عن إدراكه. وقال عَلِيٌّ: "حَدِّثوا الناسَ، بما يَعْرِفونَ أتُحِبُّونَ أنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسولُهُ" [3]. وبذلك يدفع إلى اختيار مادة التعلم وعرضها عرضا يحببها إلى القلوب ولا ينفرها منها.

-استمرارية التعلم:

لقد استمر النبي (صلى الله عليه وسلم) في منهجه التربوي، لكي يعلم أصحابه ويذكرهم بالله – عز وجل –ويحثهم على مكارم الأخلاق ويوضح لهم دقائق الشريعة وأحكامها [4].

كما كان يتعهدهم باستمرار التعليم والتربية وتزكية النفوس ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة. سأله رجل: أي الإسلام خير؟قال:تطعم الطعام، وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف (ابن ماجة).

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، الصفحة أو الرقم 68 .

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، الصفحة أو الرقم537 .

(3) ذكره البخاري في صحيحه، عن عامر بن واثلة أبو الطفيل، الصفحة أو الرقم127.

(4) الصلابي، ج1، 619

ومن النماذج الدالة على استمرارية التعليم في سيرته وحرصه على تعليم أصحابه (صلى الله عليه وسلم) في مختلف الظروف والأحوال في (المسجد – السوق – البيت – الشارع..) أنه كان يستغل الأوقات للقيام بذلك، كما كان من عادته (صلى الله عليه وسلم) عدم إرهاق الصحابة بالتعليم المركز؛ فقد روي عن ابن مسعود "كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السأمةوالملل" [1].

الخاتمة

وبعد.. فإن كتاب الله –جل وعلا- يحمل في جناباته وبين ثنايا آياته الكثير من الفوائد والفرائد والدرر، والتي تحتاج منا إلى فهم وتدبر وإقبال على هذا الكتاب؛ لاستخراج فوائده وكنوزه والإفادة مما اشتمل عليه. فإن الفوز والفلاح والسعادة في الإقبال على هذا الكتاب، ودراسة ما فيه، ومحاولة الغوص في بحوره، للفوز بدرره والبحث عن أحكامه وحكمه. كما أن الرسول العظيم (صلى الله عليه وسلم) قد تمثل بأخلاق القرآن الكريم؛ فلقد كان منهجه (صلى الله عليه وسلم) في تربية وتعليم أصحابه ينطلق من أسس ربانية متينة في العقيدة والعبادات والأخلاق والعلم.فتارة يعلمهم في مواقف وتارة أخرى يربي فيهم جوانب عديدة.

النتائج

- تفرد القرآن الكريم بمنهج تربوي شامل متكامل متوازن التزم بقواعد وأسس قويمة. منذ فجر هذه الأمة إلى العصر الحاضر، حار العقل عن مكمن تأثيره، ومصدر تغييره للنفوس، وحصر أساليبه التربوية.
- أن نجاح التربية الإسلامية في صدر الإسلام تمثل في طبيعة منهج القرآن الكريم ، ومنهج الرسول – صلى الله عليه وسلم – في التربية ، وتعامل الصحابة الإيجابي مع هذين المنهجين. وبذلك استطاعت التربية الإسلامية في عهدها الأول أن تربي جيلاً فريداً وصفه ربه بأنه خير أمة أخرجت للناس.
- إن حاجة الناس ماسة إلى عرض منهج القرآن في التربية والسلوك ، والتوجيه والتقويم لتكون بديل لتلك المناهج التي استقيت من مدارس الغرب وبنيت على نظرياته وأوهامه القائمة على إهمال العلاقة بين الخالق والمخلوق.مما جعلنا نسير في عشوائية وتخبط، ونستقي مبادئ تربوية قد لا تتفق مع قيمنا وعاداتنا ومبادئ شريعتنا الإسلامية السمحة.
- يمكن للمربين استنباط العديد من المبادئ التربوية والقيم السامية النبيلة من السيرة النبوية العطرة التي أسهمت في بناء مجتمع إسلامي متين استطاع– بأبنائه – أن يصمد في وجه التحديات عبر قرون طوال.

التوصيات

وفي نهاية البحث توصي الباحثة بما يلي:

---

(1) سبق تخريجه.

- توجيه الأنظار والاهتمامات في كنوز المنهج القرآني ودرره النفيسة، وتأكيد صلاحيته لبناء الإنسان السوي، والمجتمع المسلم القوي؛ لتخليص البشرية من عللها وأمراضها.
- تشجيع الباحثين في مجال الدراسات التربوية الإسلامية على دراسة المباحث الإنسانية والاجتماعية والنفسية المختلفة من خلال القرآن الكريم. ودراسة السيرة النبوية العطرة وإبراز عظمة دورها في تربية الرعيل الأول من الصحابه -رضوان الله عليهم أجمعين؛ لتوضيح دورها التربوي في بناء إنسان مؤمن واثق بدينه.
- الاهتمام بالمستجدات التربوية الحديثة والعصرية، والعمل على استثمارها وفق منهج الله -عز وجل- وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم).
- التوسع في إنشاء مراكز للبحوث التربوية الإسلامية المتخصصة، تهتم بدراسة السيرة النبوية والتراث الإسلامي، وإبراز الجانب التربوي فيهما وتوظيفه في العملية التربوية التعليمية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ت/606هـ:النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق:طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، مج5، بيروت:المكتبة العلمية، 1997م، (د.ط)
- ابن الجوزي:أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ت/597هـ:غريب الحديث، ط1، مج2، بيروت:دار الكتب العلمية، 1985م
- ابن فارس:أحمد بن زكريا، ت/395هـ:معجم مقاييس اللغة، تحقيق:عبد السلام هارون، مج6، بيروت:دار الفكر، 1979م، (د.ط)
- ابن كثير:أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، ت / 774هـ: تفسير القرآن العظيم، مج4، بيروت:دار الفكر، 1401هـ، (د.ط)
- ابن منظور الأفريقي، لسان العرب، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ-1997م)
- أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - ط6 مكتبة الدعوة الإسلامية بالأزهر - مصر، 1385هـ-1965م
- أبو دف، محمود خليل(2007)، مقدمة في التربية الإسلامية، غزة، مكتبة آفاق
- أحمد الحمد: التربية الإسلامية، دار أشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 1423هـ.
- أحمد الصباب: الأسلوب العلمي في البحث، جدة، دار عكاز، 1401هـ
- اعمير، أنور أحمد داود:التربية القرآنية في سورة النور، رسالة ماجستير، فلسطين:كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 1425هـ/2004م
- الإمام عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، مناهل العرفان في علوم القرآن
- بدران، شبل:التربية والنظام السياسي، الاسكندرية:دار المعرفة الجامعية، 1993م
- البيضاوي:عبد الله بن عمر الشيرازي، ت/791هـ:أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مج2، ط2، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1955م

- جرادات، عزت: تربية الطفل في الإسلام، عمان:المركز الثقافي الإسلامي، 1983م
- جرادات، عزت، وهيفاء أبو غزالة:مدخل إلى التربية، عمان:دار الفكر، 1983
- حلمي فودة وعبد الرحمن صالح عبد الله- المرشد في كتابة الأبحاث، ط 6، جده، دار الشروق، 1412هـ
- خلف الله، أحمد ربيع عبد الحميد:الفكر التربوي وتطبيقاته، مصر:مكتبة وهبة، 1984م
- ديوي، جون:الديمقراطية والتربية، ترجمة:نظمي لوقا، القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية، 1978م
- رابح، تركي:دراسات في التربية الإسلامية، بيروت: المؤسسة الجامعية، 1982
- الراغب الأصفهاني:معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط 1، ضبطه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ 1997م
- الرفاعي، عبد الجبار(2005)، "أصول البحث"، مجلة التوحيد، 128.
- الزبيدي:محمد مرتضى، ت/1205هـ:تاج العروس، تحقيق:علي شيري، مج20، بيروت:دار الفكر، 1994م
- زينب الحسن أبو علي:"أسس التربية بين التأصيل الشرعي والمفارقات الحداثية"، موقع تربيتنا (نحو تربية إسلامية واعية)، 1435/12/1هـ.
- سعيد إسماعيل علي:الأصول الإسلامية للتربية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1412هـ - 1992م.
- سيد قطب: في ظلال القرآن، الطبعة الشرعية التاسعة، دار الشروق، بيروت، 1402هـ
- السيد، محمود أحمد:معجزة الإسلام التربوية، الكويت:دار البحوث العلمية 1978م
- شلبي، أحمد:التربية الإسلامية، ط7، القاهرة:مكتبة النهضة المصرية، 1982م
- الطبري:جامع البيان عن تأويل آي القرآن
- عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية – الطبعة الأولى – دار الفكر – دمشق، 1399هـ
- عبد الفتاح عاشور: منهج القرآن في تربية المجتمع – الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بمصر 1399هـ – 1979م
- عبيدات، ذوقان وآخرون، البحث العلمي النوعي والكمي، ط1، 1423هـ
- عرعور آل، عدنان بن محمد:صفات الطائفة المنصورة، ط2، القاهرة:مؤسسة قرطبة، 1995م
- العلواني، طه جابر:المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية
- علي أحمد مدكور، مناهج التربية - أسسها وتطبيقاتها، القاهرة:دار الفكر العربي، 1418هـ/1998م
- علي أحمد مدكور، مناهج التربية -أسسها وتطبيقاتها، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ/1998م
- عماد الدين خليل: دراسة في السيرة -دار النفائس - بيروت – 1397هـ
- الفيروز أبادي:محمدبن يعقوب، ت/817هـ:القاموس المحيط:تحقيق العرقسوسي، ط5، بيروت:مؤسسة الرسالة، 1406هـ، ص1659، (مادة:ربا).
- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمدبن فرح الأنصاري، ت/671هـ:الجامع لأحكام القرآن، تحقيق:أحمد عبد العليم البردوني، مج20، ط2، القاهرة:دار الشعب، 1372هـ
- الكيلاني، ماجد عرسان:التربية والتجديدمكة:دار الاستقامة، بيروت:مؤسسة الريان، 1997م.
- محب الدين المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس(دار الهداية للنشر والتوزيع)
- محسن عبد الحميد: المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري – كتاب الأمة رقم 6، مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية – بيروت – رجب 1405هـ- نيسان 1985م

- محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن الكريم – في دراسة أجراها عمر عبيد حسنة –سلسلة قضايا الفكر الإسلامي – يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الوفاء – المنصورة مصر 1412هـ- 1981م
- محمد بن عبد الله آل عمرو، ومحمود يوسف الشيخ:أصول التربية الإسلامية، ط4، 1429هـ - د.ن 2008م.
- محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ط3– دار الشروق - بيروت، 1400هـ
- محي الدين النووي: رياض الصالحين، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ
- منال موسى علي دبابش، "منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية من خلال السيرة النبوية "، رسالة ماجستير، غزة – الجامعة الإسلامية –كلية التربية – 1429هـ 2008م.
- الموسوعة الإسلامية، إنعام الكاظمي:(مفاهيم في التربية القرآنية)، مقال منشور بتاريخ 2013/6/18م، عن مجلة الطاهرة/ العدد 192 لسنة 2008م.
- موقع المسلم: التربية الإسلامية بين اهتمام المنهج وتفريط المربين مقال للكاتب:مجدي مصطفى بتاريخ 1427/6/13 هـ 1435/12/1هـ.
- النووي:يحيى بن شرف، ت/676هـ:شرح النووي على صحيح مسلم، مج18، ط2، بيروت: دار إحياء التراث، 1392هـ

* * *